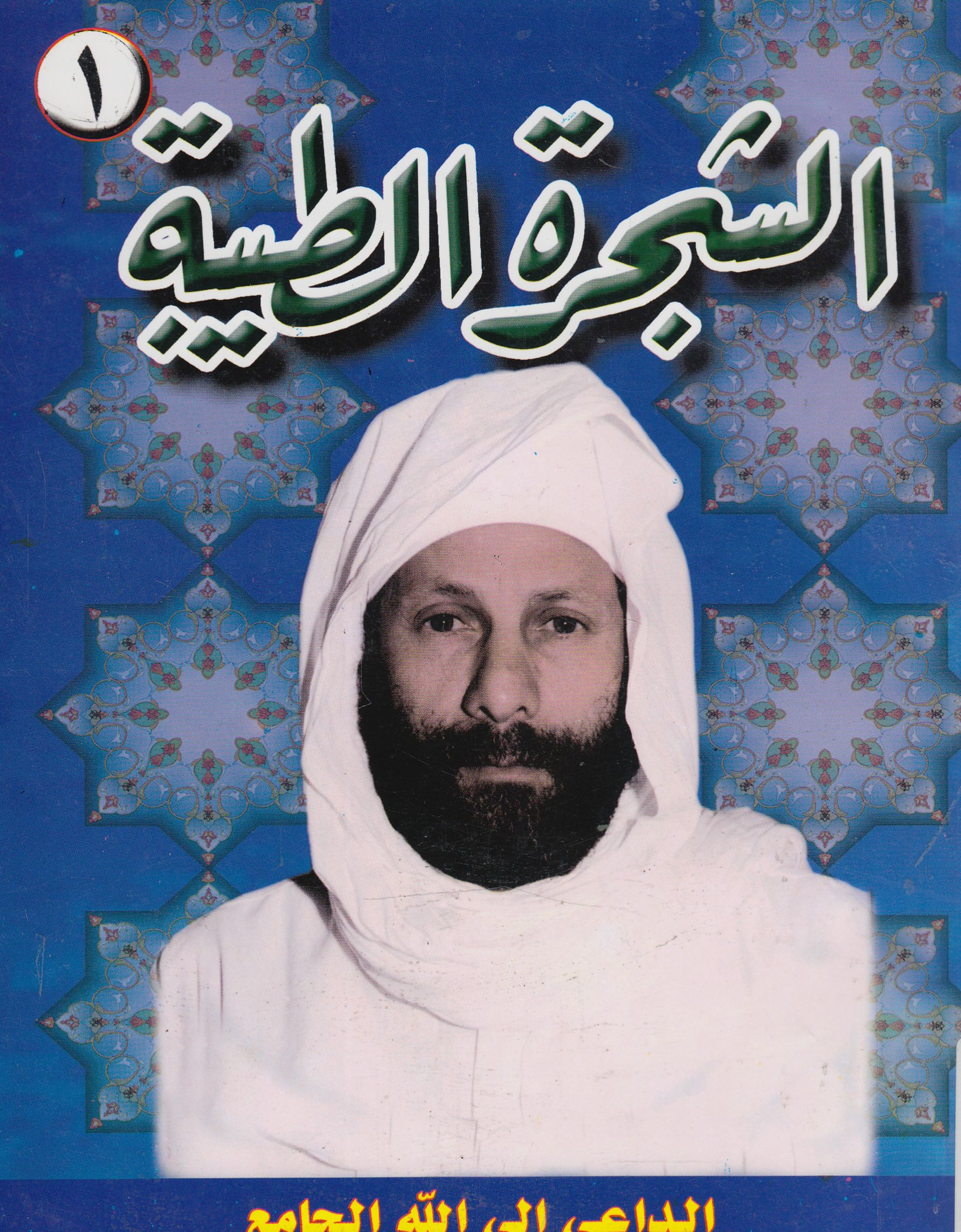


الداعي إلى الله الجامع

الشيخ أحمد البسفي الأول بن مصطفى

١

الشجرة الطيبة

مفاتح العلم

الـــزاد

بقلم الفقير إلى الله /

أحمد مصطفى محمد مصطفى

وشهرته :

أحمد البِسْفِي الأول بن مصطفى

الداعي إلى الله الجامع

ج . م . ع ـ بني سويف ـ الفشن ـ ش بحري المحكمة

ت : ٧٦٦٢٩٧١ - ٧٦٦٣٢٤٩ - ٧٦٦١١٦١ / ٠٨٢

محمول : ٠١٠٣٤٦٢٣٥٨

الطبعة الثالثة

١٤٣٢هـ /٢٠١١م

الناشر

سوبر مان

للنشر والتوزيع

الفشن – شارع الشيخ منصور

ت : ٧٦٦٣١٨٤ - ٧٦٦٣١٨٥ / ٠٨٢

محمول : ٠١٠٦٣١٦٥٣١

رقم الإيداع :
٣٣٢٥ / ٢٠١١ م
الترقيم الدولي I . S . B . N
977 - 6112 - 48 - X

الطبعة الثالثة

للكتاب الأوَّل من

(الشجرة الطيِّبة)

١٤٣٢هـ /٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الطريقة الجامعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمَّد رسول الله ، أمَّا بعد : فهذه هي الطبعة الثالثة للكتاب الأوّل من (الشجرة الطيِّبة) للطريقة الجامعة ، بقلم خادمها الداعي إلى الله الجامع سيدي الشيخ أبي محمَّد أحمد البِسْفِي الأوَّل بن مصطفى ، بارك الله في عمره ، ونفع الله به في أثره ، ويسَّر الله نشر كلّ ما منَّ عليه به من مفاتح غيوب علم الله التي يجلّيها الله بكماله في عصره ؛ لينفع الله بهذه الدعوة الجامعة كلّ باحث عن الحقيقة المجرَّدة من زيغ القلوب ، وهوى النفوس ، وضلال العقول في ظلمات العصر ، ونيران الفتن في كلّ قطر ، فهذه الدعوة الجامعة هي من أكبر الأدلَّة الناصعة ، وأقوى الحجج القاطعة على كمال حفظ الله لكتابه الحقّ ، وسنَّة خير الخلق سيدنا ومولانا محمَّد ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين إلى يوم الحقّ ، إنَّ هذه الدعوة الجامعة لهي باب من أوسع أبواب العلم النافع على معاصري الشيخ البِسْفِي ، وعلى الذين يلونهم ــ إن شاء الله ــ وقد بدأ الشيخ البِسْفِي هذه الدعوة بمحض المنَّة من الله قبل ما يزيد عن نصف القرن من ماضي الزمان ؛ ليجدِّد الله بهذه الدعوة من أمور الدين ما يشاء ، وما أحوج المنادين إلى (تجديد الخطاب الديني) أن ينظروا بتجرُّد في هذه الدعوة الجامعة ، التي أوّلها علم ، وأوسطها علم ، وآخرها علم ، وعلامة العلم خشية الله ... ، وقد روى أبو داود في سُننه أنَّ رسول الله ﷺ قال : [إنَّ الله يبعث لهذه

الأمَّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدِّد لها أمر دينها] وتجديد الدين لا يكون إلا بمثل هذا العلم النافع ، الذي يجدِّد ولا يبدِّد ، ويبني ولا يهدم ، ويعرِّف ولا يتطرَّف ، ويجمع ولا يُفرِّق ، وييسِّر ولا يُعسِّر ، ويرحم ولا يُهلك ... ، إنَّ الشيخ البِسْقِي يدعو إلى هذا العلم بمحض المنَّة من المنَّان ، وبكمال التجرُّد لله من هوى النفس وزخرف الأكوان ، وليس له غاية في هذه الدعوة إلا تحقيق عبوديَّة الإنسان لله الواحد الديَّان ، وسعادة الإنسان بمكارم الأخلاق في الدنيا وفي حضرة الإحسان ... ، إنَّ هذه الدعوة ليست وليدة فكر ، وليست مقيَّدة إلا بما في كتاب الله الحقّ وبما صحَّ من سنَّة خير الخلق ﷺ ، وليس للشيخ أتباع ، وليس بعده خليفة ، وهو داعٍ إلى الله ابتغاء وجه الله ، فليس له غاية غير مرضاة الله ، الذي امتنَّ عليه بهذه الدعوة الجامعة لعباد الله على طاعة الله ، واتباع خير خلق الله ﷺ ، اللهم إنَّك أنت النافع الحقّ ، فانفع اللهم بهذه الدعوة الجامعة أهل التجرُّد لله في طلب الحقّ ، وانفع اللهم بما في هذا الكتاب وبما في أمثاله أهل الصدق : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات .

وكتبه / عبد الله عبد المجيد محمَّد علي

من موجِّهي اللغة العربيَّة والتربية الإسلاميَّة في محافظة بني سويف الفشن في يوم الجمعة ٣ من شهر صفر سنة ١٤٣٢ هـ الموافق ٧ من شهر يناير سنة ٢٠١١ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الواحد المُنزَّه عن التعدُّد والتكرار ، وأشهد أنَّ لا إلـه إلا الله المُنزَّه عن التركيب والمقدار ، وأشهد أنَّ سيدنا محمَّداً رسـول الله الذي لا حول له ولا قوَّة إلا بالله ؛ لأنَّه أوَّل العابـدين ، ونـور الموحدين ، وخاتم النبيين ، اللهم صلِّ عليه وعلى آلـه وأصحابه وأنصاره وذريَّته وسلِّم تسليماً ، أمَّا بعد فإنِّي أقدِّم مقدِّمة هذا الكتاب الأوَّل من الشجرة الطيِّبة الطبعة الثالثة في صورة معلومات :

معلومة { ١ } :

يا ولدي وفَّقني الله أن أُفرِغ ما منَّ الله عليَّ به من علم ، في صـورة معلومات أرصدها في كتب يحمل كلّ كتاب عنوان (الشجرة الطيِّبـة) وهو عنوان لا يتغيَّر ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ؛ والعلم قد يفهمه العقل ويطبِّقه الجسد حرفيّاً ، وينطق به اللسان ، فهو كالتيار الكهربائي في الأسلاك ، ولكن لا ينتفع به صاحبه لعدم سـلامة قلبه بحسد ، أو تكبُّر ، أو بقسوة ، أو بشحٍّ ، أو بغير ذلك من أمراض القلوب كالمصباح الذي احترق ــ أي فسد ــ فلا يضيء رغم سـريان التيَّار في الأسلاك ، ولذلك كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع ، فما الذي يحجب نفع العلم ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة { ٢ } :

يا ولدي الذي يحجب العلم النافع أو الذي يعوق الانتفاع بالعلم هـو

فساد القلب ، وما الذي يُفسد القلب ؟ يُفسده إصابته بالجراثيم الإبليسيَّة، ويُعين على فساده ويُضاعفه الرزق الحرام الخبيث ، إذاً المطعم كلَّما كان حلالاً طيِّباً كان مساعداً بقوَّة الله على معالجة القلب والمحافظة على سلامته وزيادة هداه ، وبذلك ينتفع المُعلِّم والمُتعلِّم بالعلم ، كما يُضيء المصباح السليم للمُبصرين ، وقد قصدت أن يكون جميع ما أكتبه تحت عنوان (الشجرة الطيِّبة) وأن أُقدِّم العلم في صورة أسئلة ، والأجوبة عليها في صورة معلومات ، داعياً الله العليّ القدير :-

١- أن تسلم القلوب بتطهيرها . ٢- وأن تُبصر العقول بتحريرها .

٣- وأن تدوم أعمال الأجساد الصالحة بتيسيرها .

٤- وأن يأنس الناس بتعارفهم . ٥- وأن يفوز المؤمنون بتآلفهم .

٦- وأن ينتفع الجميع بتكاتفهم .

٧- وأن تكون المحافظة على الأمن خُلقنا .

٨- وأن يكون الفرار إلى الله طريقنا .

فهذه ثماني كلمات بعدد أبواب الجنَّة ، وماذا يكون إذا التزمنا بهذه الكلمات الثماني ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثالثة فهيَّا بنا .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي إذا التزمنا بهذه الكلمات الثماني ، لأصبح العلم النافع هو حياتنا، والمعرفة الحقَّة هي واقعنا ، ولحيينا الحياة الطيِّبة في الدنيا كإشارة مُبشِّرة لنا بالحياة الطيِّبة في الآخرة ، ولكُنَّا حقاً بحالنا خير أمَّة أُخرجت للناس ، يطمئنُّ الناس بقيادتنا ويسعد الناس بوجودنا ؛ لأنَّنا

بذلك نُصبح مرآة للملأ الأعلى في الأرض بأقوالنا وأفعالنا وأحوالنا ، هذه أمَة النبي محمَّد ﷺ المرحومة والمرحوم بها ، تخيل يا ولدي هذه الأمَة التي أرجو أن تكون إحدى لبنات وجودها الشامخ ، ولا يتحقق هذا الحُلم في هذا العصر أو فيما بعد هذا العصر إلا إذا تخلَّق المسلمون فيما بينهم وفيما بينهم وبين الناس جميعاً بحديثين منسوبين للنبي محمَّد ﷺ الذي هو رحمة للعالمين الحديث الأول : [إنَّما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق] مسند الإمام أحمدِ من رواية أبي هريرة بلفظ (صالح الأخلاق) ، والحديث الثاني : [إنَّما بُعثت مُعلِّماً] من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو ــ رضي الله عنهما ــ أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف ، وهيَّا بنا يا ولدي إلى المعلومة الرابعة لأستكمل الحديث معك .

معلومة { ٤ } :

يا ولدي ما ذكرته من كلمات ثمان وغيرها عن العلم هو العلم النافع خُلقاً ومعرفةً ، أمَّا أن يظل العلم في الورق مجرَّد سطور ، والعقول له مجرَّد قبور ، أو أن يظل مجرَّد ثرثرة في اللسان ممسوخاً ، وفي الجسد مجرَّد زخرفة (وديكور) فهذا هو العلم الذي لا ينفع ، وبه صاحبه يضلّ ويجور ، ويظلم ويبور ، إنَّه علم الهوى الذي يضلّ به صاحبه بالزور ؛ لأنَّ العلم النافع هو الذي يجمع ولا يُفرِّق ، ويبني ولا يهدم ، ويُصلح ولا يُفسد ، والعلم النافع هو الذي به والذي من أجله تتنافس العقول الحُرَّة المُبصرة في ميدان القلوب السليمة الطاهرة ، والأمَّة في ظِلِّه لا تنقسم إلى فِرَق وشِيَع ؛ لأنَّها أمَّة

واحدة مرحومة ، فقلوب أبنائها مُشرقة بنور السراج المُنير ﷺ ، وهـذه الأمَّة الواحدة المرحومة لا تتشكل إلا من ثلاث طوائف :

١- طائفة المُعلِّمين ٢- طائفة المُتعلِّمين ٣- طائفة المُحبِّين

والطوائف الثلاث هُم علماء عاملون وأولياء صالحون ، وكلّ معلِّم يُعلِّم مَن هو أدنى منه ، ومُتعلِّم ممَّن هو أعلى منه ، وكلّ مُتعلِّم يتعلَّم ممَّن هو أعلى منه ، ويُعلِّم من هو أدنى منه ، والمُحبّ عَالِم بحبِّه للمعلِّم والمُتعلِّم ، فلا يحرمه الله من علمه وفضله وكرمه ، وهكذا نُدرك رسالة العلم النافع الذي هو الشجرة الطيِّبة التي أصلها عقيدة التوحيد ، وذاتها شريعة الله ، وثمارها الأخلاق ، وشجرة بلا ثمار هي حطب للنار ، وهذه هي الطريقة الجامعة ، التي أولّها علم الفريضة ، وأوسطها علم التزكية ، وآخرها علم معرفة الله ، وعندها يُدرك العبد أنَّ قمَّة العلم هي في قول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة ، مع ملاحظة أنَّ الطريقة الجامعة ليست شخصاً مُعيَّناً يدَّعي شيئاً لنفسه بعد النبي محمَّد ﷺ ، بل هو كمؤذِّن فقط يدعو إلى طريقة النبي محمَّد ﷺ وليس بعده خليفة . وهي ليست جماعة مُعيَّنة ؛ لأنَّني ليس لي أتباع ؛ لأنَّ التفاف الناس حول الأشخاص بتعصُّب وتشدُّد وتزمُّت لا حول العلم والمعرفة المجرَّدة من الهوى هو من الأسباب الهامة التي أدَّت إلى تفرُّق الأمَّة واختلاف المسلمين . فهيَّا بنا أيُّها الناس لنتعلَّم علم الفريضة حتَّى تتحقَّق عبوديتنا لله وحده ، وهيَّا بنا لنتربَّى بعلم التزكية حتَّى نتَّبع النبي ﷺ عبده ، وهيَّا بنا لنحظى بمعرفة الله وحده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المؤلِّف .

نسب الشيخ أحمد البِسْفِي الأوَّل العِلمِي و الروحي

بسم الله الرحمن الرحيم

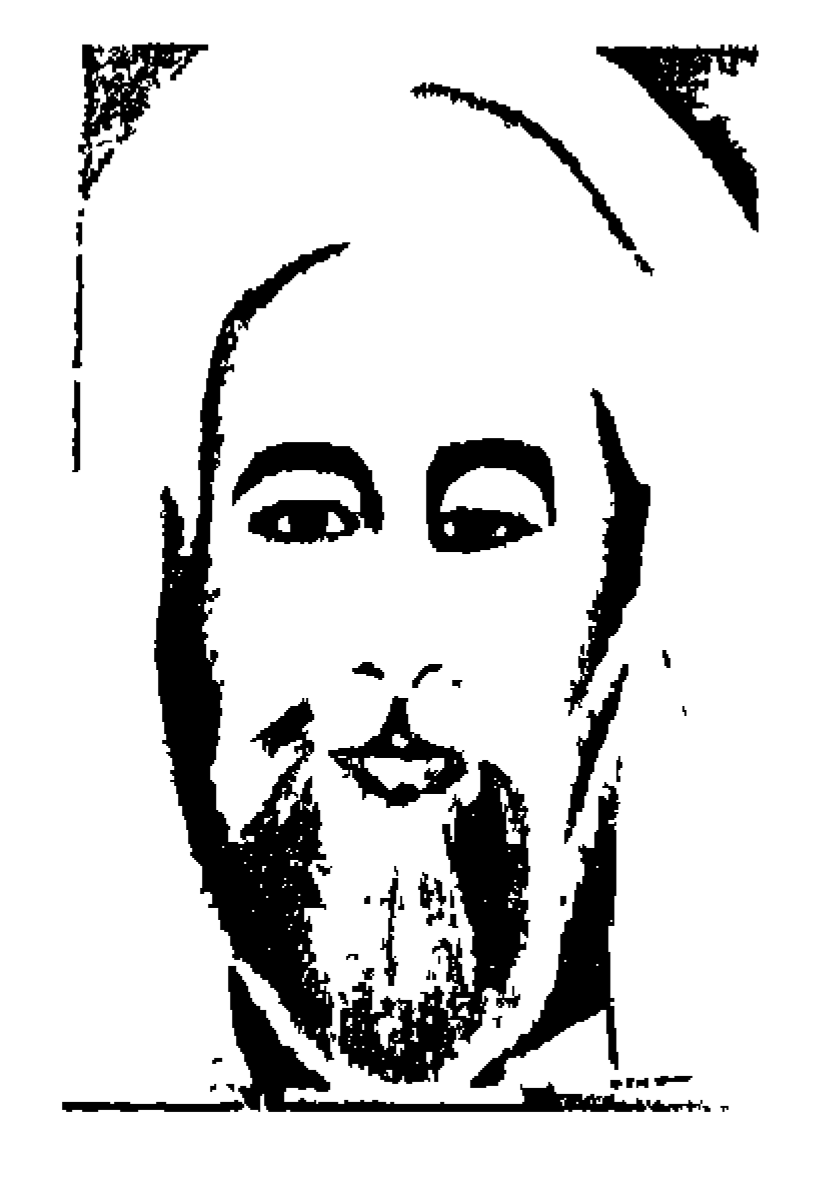
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يونس ، صدق الله العظيم

نسبة الطريقة الجامعة الشاذلية البسفية

وخادمها الفقير إلى الله

أحمد البسفي الأول بن مصطفى بن محمد

غفر الله له



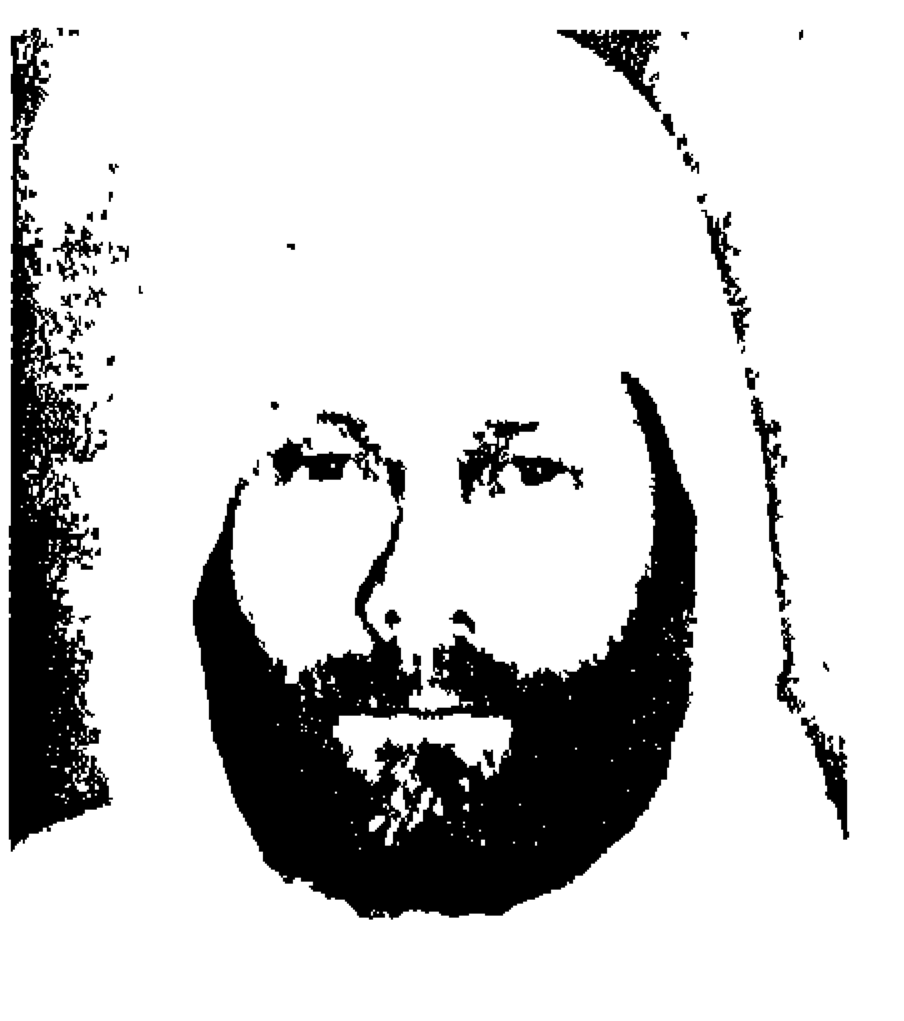
وقد سُقي في أول أمره من فضل الله وكرمه ، فانتابته حالة من الوجل والخشوع ... فاستغرقته كلمة التوحيد ، ثم سُقي بفرعين شاذليين رئيسين : -



أحدهما : الغوث

سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي الشاذلي

الذي أتاه من برزخه فسقاه أمانة العلم



ثانيهما : العارف بالله

سيدي الشيخ أحمد محمود أبو قورة

وهو آخذ عن سيدي محمد سيف ، وهو آخذ عن سيدي عبد الكريم ، وهو آخذ عن سيدي

بمسجد الشيخ زهران القديم بالفشن .
وهو آخذ عن سيدي محمد ابن الحبيب البوزيدي ، وهو آخذ عن سيدي أبي المواهب محمد ابن قَدُّور الوكيلي ، وهو آخذ عن اثنين هما :
سيدي محمد بن عبد القادر ﷺ ، وسيدي أبو يعزه المهاجي ﷺ .

الفقير إلى الله محمد عبد الله شمس الدين محمد المكي الفاسي الشاذلي ، وهو آخذ عن سيدي الشيخ أحمد عرب ، وسيدي الشيخ أحمد عرب آخذ عن اثنين هما : سيدي الشيخ محمد شمس الدين المكي ، ووالده مربي المريدين ومرشد السالكين وقدوة العارفين سيدي الشيخ محمد بن محمد بن مسعود ابن عبد الرحمن المغربي الفاسي الشاذلي -رضي الله عنهما - ، وهو آخذ عن سيدي الشيخ محمد ابن حمزة ظافر المدني .

وثلاثتهم آخذون عن

سيدي الغوث العربي بن أحمد الدِرقاوي الفاسي الشاذلي

وهو آخذ عن القطب سيدي علي الجمل الفاسي ، وهو آخذ عن القطب سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله المشهور عند أهل فاس بالغوث صاحب المخفية ، وهو آخذ عن أبيه القطب سيدي أحمد بن عبد الله الفاسي ، وهو آخذ عن القطب سيدي قاسم الأخصاصي ، وهو آخذ عن شيخه سيدي محمد بن عبد الله الكبير ، وهو آخذ عن القطب سيدي عبد الرحمن الفاسي ، وهو آخذ عن القطب سيدي يوسف الفاسي ، وهو آخذ عن القطب سيدي عبد الرحمن المجذوب ، وهو آخذ عن القطب سيدي علي الصنهاجي ،

وهو آخذ عن القطب سيدي إبراهيم الفحام ، وهو آخذ عن القطب سيدي أحمد الزرُّوق الفاسي ، وهو آخذ عن القطب سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي ، وهو آخذ عن القطب سيدي يحيى القادري ، وهو آخذ عن القطب سيدي علي الوفا ، وهو آخذ عن والده بحر الصفا سيدي محمد وفا ، وهو آخذ عن القطب سيدي داود باخلي ، وهو آخذ عن القطب سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري (صاحب الحِكَم) وهو آخذ عن القطب سيدي أبي العباس المرسي ، وهو آخذ عن القطب سيد أهل هذه الطائفة الشاذلية سيدي علي أبي الحسن الشاذلي ، وهو آخذ عن القطب مولانا سيدي عبد السلام بن مشيش، وهو آخذ عن القطب سيدي عبد الرحمن المدني العطار المشهور بـ(الزيات) ، وهو آخذ عن القطب سيدي تُقَيٍّ الدين الفُقَيْر (بالتصغير فيهما) ، وهو آخذ عن القطب سيدي فخر الدين ، وهو آخذ عن القطب سيدي نور الدين أبي الحسن علي ، وهو آخذ عن سيدي تاج الدين ، وهو آخذ عن القطب سيدي شمس الدين محمد بأرض التُرك ، وهو آخذ عن سيدي زين الدين القزويني ، وهو آخذ عن القطب سيدي أبي إسحق إبراهيم البصري ، وهو آخذ عن القطب سيدي أبي القاسم أحمد المرواني ، وهو آخذ عن القطب سيدي سعيد ، وهو آخذ عن القطب سيدي سعد ، وهو آخذ عن القطب سيدي أبي محمد فتح السعود ، وهو آخذ عن القطب سيدي الغزواني ، وهو آخذ عن سيدي أبي محمد جابر ، وهو آخذ عن أول الأقطاب أبي محمد سيدنا الحسن ، وهو آخذ عن أبيه حِسّاً ومعنىً

أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين ، وهو آخذ عن سيد الأولين والآخرين وإمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وهو آخذ عن سيدنا جبريل عليه السلام ، وهو آخذ عن الله ﷻ .

وهذه سلسلة الذهب مُعَنْعَنَة بالأقطاب ومُسَلْسَلَة بالأوتاد

ووصية الشيخ أحمد اليسْفِي الأول بن مصطفى

وصيتي أنا العبد الفقير إلى الله

أحمد اليسْفِي الأول بن مصطفى

في حياتي وبعد مماتي

أولاً : أوصي بأداء جميع ما عليَّ من حقوق ، وأن يتم توزيع ما أتركه من ميراث توزيعاً عادلاً مرضياً ، وأن يَذكُرني الجميع وبخاصة أهلي بالعفو عني والدعاء لي والصدقة عليَّ والزيارة لي .

ثانياً : على الجميع أن يُدركوا أنني لم أكن إلا خادماً لطريقة الله الجامعة ، التي باطنها الحقيقة ، وظاهرها الشريعة ، وثمارها الأخلاق ، والتي أولها علم الفريضة ، وأوسطها علم التزكية ، وآخرها علم المعرفة .

ثالثاً : يجب أن يعلم الجميع أنه لا يُمثل شخصي إلا شخصي ، في القول والفعل والكتابة والزي وفي كل شيء ، وليس لي أتباع ،

وليس بعدي خليفة ، وأنا بريء كُل البراءة من كل بدعة أو خُرافة ، ومن كل رسم أو وَهْم أو تحيز لجماعة أو طائفة .

رابعاً : قد يمُن الله على أفراد من ذريتي يحمل الواحد منهم نفس اسمي مع رقمه الخاص به بعدي على أزمنة متباعدة أو متقاربة ، وعلامته أن يكون مثلي لا يخالفني لا في حرف ولا في شيء من حيث دعوة النبي محمد ﷺ ، وأهم علامة أن يكون من صنع الله لا من صنع الناس وهواه .

خامساً : أُحَذِّر الناس جميعاً من السموم التسع وهي : (السياسة والهدم، الطائفية والتعصب، الحسد والبغضاء، الأسلوب الهجومي في الدعوة، الجدال المضيع للوقت والود، الماديات المفسدة للقلوب ، البدع والخرافات، الصد والصادين عن الصالحين أحياءً ومنتقلين ، اختلاط الرجال بالنساء) وأتمنى أن يلتزموا بالكلمات الثمانية وهي : (التطهير، التيسير، التحرير، التعارف، التآلف، التكاتف، الأمن، الفِرار) وكلها واردة نصاً بمصباح الدعوة بكتاب (الشجرة الطيبة الثالث).

سادساً : من الضروري أن تبقى الزاوية جزءاً من البيت ، فالنيَّة منذ البداية في إنشائها أن تكون مكاناً لتبليغ كلمة العلم فقط ، وبعد ذلك تُرد إلى بقية المنزل .

سابعاً : أحذِّر الناس من الانقسام إلى فرق ، فليس في أمة النبي محمد ﷺ تفرق أو تنطع أو وَهْم ، بل هي أُمة المعلمين والمتعلمين والمحبين ، وهي ثلاث مجموعات متآلفة متعاونة

متداخلة ، فالمعلم (معلم ومتعلم) ، والمتعلم (متعلم ومعلم) ، والمحب (محب للجميع) ، وأدعو الله أن لا تُحرَّف كُتبي ؛ لأنها خليفتي من بعدي .

ثامناً : حذار ، حذار ، من تعليق صورة لأي إنسان في الزاوية وبخاصة صورة العبد الفقير إلى الله / أحمد البِسْفِي الأول بن مصطفى خادم الطريقة الجامعة ؛ لأن الزاوية مكان لعبادة المصوِّر وتذكر الآخرة ، لا لعرض الصور .

تاسعاً : وحذار ، حذار ، من محاولة تسجيل الطريقة الجامعة بالمشيخة الصوفية ؛ لأنها ليست في حاجة إلى ذلك لسببين :
السبب الأول : لأنها مُحاطة بإطارها القانوني وهو جمعية الوسيلة الجامعة ، المُسجلة في وزارة الشئون الاجتماعية ، فلا حاجة لها لسند قانوني . السبب الثاني : وهذا هو الأهم أنها ليست طريقة مفردة بل هي دعوة جامعة للتصحيح والتوضيح ، وإطار طاهر لجميع الطرق الصوفية ، والمناهج الفرعية ، والنشاطات الدينية ، فهي كالهواء يتنفسه الجميع ، وكالماء يحيا به الجميع ، ولا غِنى للجميع عن الهواء أو الماء ، ولا ينبغي أن يتحيز ماء أو هواء ، ولذلك لا خليفة بعدي ، ولا أتباع لي ، إنما هي تجديد لدين الله ، والداعي إليه هو السراج المنير سيدنا محمد ﷺ وكلنا " لو صدقنا " أدوات بناء وجمع وإصلاح بيد رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الأوَّل :

لماذا جعلت كتب الشجرة الطيِّبة على صورة سؤال وجواب ؟

الإجابة :

معلومة { ١ } :

يا ولدي العلم كنز ومفتاحه السؤال ، وحين يُقدَّم العلم على صورة سؤال وجواب ، يُقدَّم بصورة مشوِّقة فيها تنبيه للذكر والفكر ولفت للنظر ، والأسئلة المطروحة في هذا الكتاب إمَّا أسئلة وُجِّهت إلى العبد الفقير من خلال ندوات عامة ، أو في مجالس خاصة ، أو قد تكون معلومة أقوم بصياغتها في صورة سؤال وجواب ، أو يكون السؤال مطروحاً عليَّ من الداخل ، وقد تجد سؤالاً مكرَّراً ولكن الإجابة قد تختلف في الأسلوب ، فقد تُذكر جزئيَّة في إجابة لم تكن في الإجابة الأخرى وهكذا : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة ، وقد يخطر ببالك لماذا اتخذت الشجرة الطيِّبة عنواناً لكلِّ (كتبي) ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة { ٢ } :

يا ولدي افتح كتاب الله واقرأ باسم الله الآيتين ٢٤ / ٢٥ من سورة إبراهيم وهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فمهمَّة الداعي المتخلِّق بأخلاق القرآن اقتداءً بالنبي ﷺ هي العلم ، فطريقته أوَّلها علم ،

وأوسطها علم ، وآخرها علم ، وعلامة العلم خشية الله ، والعلم هو الشجرة الطيِّبة التي يمثلها النبي ﷺ أصلاً ؛ لأنَّ الله بعثه مُعلِّماً وإنَّه لعلى خُلق عظيم ؛ لأنَّ جوهر العلم وروحه الخُلق العظيم ، وهكذا لا يكون الداعي إلى الله وارثاً إلا إذا كان عالماً جوهره مكارم الأخلاق، وهذه الكتب من فضل الله كشجرة طيِّبة يقطف منها المخلصون ما شاء الله من ثمار العلم كلّ حين بإذن ربها ، وأقسم بالله إنَّني ليس لي من فضل في هذه الدعوة حتَّى بمقدار ذرَّة ، وهذا هو مشهدي ، فليصدِّق من يصدِّق وليكذِّب من يكذِّب فهذا لا يعنيني ، ولكن ما يعنيني هو أن يكون أحسن أيامي يوم لقائه سبحانه متجاوزاً عن سيِّئاتي بفضله وكرمه .

السؤال الثاني :

ما معنى العبارة التي تذكرها دائماً في مقدِّمة أحاديثك :- (... وإنَّ هذا الدين شجرة أصلها عقيدة التوحيد ، وذاتها شريعة الله ، وثمارها الأخلاق ، وشجرة بلا ثمار هي حطب للنار ...) ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي الإسلام شجرة أصلها عقيدة التوحيد ومجالها القلب ، وذاتها شريعة الله ومجالها الذات البشريَّة ، وثمارها الأخلاق ومرآتها العقل ، فالأصل والذات والثمار هي الشجرة الطيِّبة ، ولقد وصف الله الكلمة الطيِّبة كشجرة طيِّبة ، وفي ظنِّي أنَّ الله ـ سبحانه ـ جعل الكلمة الطيِّبة سبباً للعقيدة والشريعة والأخلاق ، فالدين علم يتجلَّى في القلب عقيدةً ، وفي الذات البشريَّة شريعةً ، وفي العقل أخلاقاً ، فلا عقلاً سليماً بدون أخلاق ، ولا أخلاقاً كريمةً بدون عقل ، فبالكلمة الطيِّبة يستدلُّ الإنسان على هذه الشجرة ويترجم عنها ، فبكلمة (الله) التي يجريها الله على لسان الداعي إلى الله يستقبل الإنسان السليم علم الله بقلبه فيُؤمن ، وبذاته البشريَّة فيعمل الصالحات ويعقل فيستقيم خُلقاً ، ثم يعبِّر هو عن حاله بالكلمة الطيِّبة يبلِّغها للناس ، وهكذا تعمل الكلمة الطيِّبة في القلوب وفي الأجساد وفي العقل ، فتنشأ الشجرة الطيِّبة ، وهي عبارة عن عقيدة التوحيد في القلب لسلامته ، وشريعة الله في الجسد لطهارته من الرزق الحرام الخبيث ، وبذلك يتحرَّر العقل من

الهوى الزائغ ، ومن الشهوة الضالة ، فيُصبح بفضل الله مرآة تعكس أنوار الأسماء الحسنى ، وهي مكارم الأخلاق التي يُعبَّر عنها بالثمار ، وألفت نظرك يا ولدي إلى أنَّ الواحد من أئمَّة المتَّقين من الرجال فيه كلّ هذه الثمار ، ولكنَّه يتخصص في خُلُق مُعيَّن ، فيكون على قدم نبي ، وهؤلاء هُم سُبل الله منه وإليه ، المشار إليهم في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت ، ولذلك نقرأ في آية أخرى قوله تعالى : ﴿ ... وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الشعراء ، فالأعلى سبيل للأدنى وهكذا .

معلومة {٣} :

يا ولدي عرفت أنَّ التوحيد أصل شجرة الدين ، ويترجم الموحِّد عن عقيدته بقوله : " لا إله إلا الله " ومن معانيها أنَّه لا معبود بحقٍّ إلا الله ، ولا بدَّ أن يُترجم العبد عن توحيده بالاتِّباع والاقتداء والتخلُّق بقوله : " محمَّد رسول الله " ﷺ إذاً التوحيد جوهره العبوديَّة الخالصة لله وحده ، وترجمته الاتِّباع المُخلص لرسول الله ﷺ ، فهما جناحا العروج إلى رضا الله ومعرفته ، وهل بعد الرضا جنَّة ؟ وهل بعد معرفة الله زيادة ؟ : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس ، فلعلَّك يا ولدي أدركت أنَّ النبي محمَّداً ﷺ بتوحيده في قلبه (أصل شجرة الإسلام) وبعمله في ذاته البشريَّة (ذات شجرة الدين) وبأخلاقه في عقله

(ثمار شجرة الدين) ومن اتَّبعه على ذلك بإحسان كان الإشارة إلى الشجرة الطيِّبة المباركة ، والبشارة بالرحمة الخاصة والعامة التـــي مرآتها المعصوم ﷺ .

السؤال الثالث :

ما هي هُويَّتك من حيث الدعوة ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي أقول لك ولغيرك متوكلاً على الله : إنَّني لا أدعو إلى طريقة معيَّنة ؛ لأنَّني لست شيخاً لطريقة ، ولا أدعو إلى جماعة معيَّنة ؛ لأنَّني لست أميراً لجماعة ، ولا أدعو إلى مذهب معيَّن ؛ لأنَّني لست إماماً لمذهب ، ولا أدعو إلى حزب معيَّن ؛ لأنَّني لست زعيماً لحزب ولا أدعو إلى جمعيَّة معيَّنة ؛ لأنَّني لست رئيساً لجمعيَّة ، ولا أدعو إلى شخص معيَّن ؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ العنكبوت ، ولا أدعو إلى دنيا ؛ لأنَّها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، والعبد الفقير إلى الله ما هو إلا كمؤذِّن يؤذِّن فيقول : حيّ على عقيدة التوحيد لقلوبكم ، وحيّ على شريعة الله لذواتكم ، وحيّ على مكارم الأخلاق لعقولكم ؛ لأنَّ دين الله شجرة أصلها عقيدة التوحيد ، وذاتها شريعة الله ، وثمارها الأخلاق ، وشجرة بلا ثمار هي حطب للنار .

معلومة {٢} :

يا ولدي دين الله هو دعوة الله المُطلقة كالماء المُطلق الطهور ـ عديم اللون والطعم والرائحة ـ لا ينبغي أن تلوِّنها النفوس بأغيارها سواء أكانت أغياراً بيضاء ـ أي بحُسن نيَّة ـ أم سوداء ـ أي بسوء نيَّة ـ حتَّى تبقى دعوة الله ناصعة وطريقة الله جامعة ،

قادرة على التطهير والتوحيد وجمع الناس على الخير بدون تفريـــق للدين وبغير تشيّع بالهوى ، ويكفي ما أنذر الله به : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام .

السؤال الرابع :

ما هي السموم التي تُحَذِّرُ منها الناس ؟

الإجابة :

معلومة {١}:

يا ولدي إن السم شيء قاتلٌ مُهلك ، وقد أحصيتُ منها في أوّل الأمر سبعة سموم يُعاني منها الناس وبخاصة المسلمون ، ثــم لاحظــت سُميَّن آخرين ، فأصبحت السموم التي أُحذِّر منها الناس وبخاصــة المسلمون تسعة سموم ، ويا ولدي قبل أن تقرأ عن السموم التسعة تدبَّر هذه الآية الكريمة : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ النمل ، وهذه هي السموم التسعة:

١- السياسة والهدم .

٢- الطائفيَّة والتعصُّب .

٣- الحسد والبغضاء .

٤- الأسلوب الهجوميّ في الدعوة .

٥- الجدال المُضيّع للوقت والمودَّة .

٦- البدع والخرافات والوهم والرسم .

٧- الماديات المُفسدة للقلب والقالَب .

٨- الصَّدُّ عن الصالحين وعن زيارتهم في حياتهم وبعد مماتهم .

٩- الاختلاط بين الذكور والإناث المؤدي إلى فساد .

هذه يا ولدي سموم تسعــة ، ولكــنَّ لماذا سميتها سمــوماً ؟ هــذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة { ٣ } :

اقترب منّي يا ولدي وتجوّل بفكرك في أحوال الناس وبخاصة المسلمون منهم ، فهل يعجبك ما هُم عليه من تفرُّق وتمزُّق وتشيُّع وفساد ، على مستوى الأسرة ، وعلى مستوى المجتمع ، وعلى مستوى الشعوب والقبائل ، وعلى مستوى العالم إلا مَنْ رحم ربُّك من الأولياء ومن العقلاء ؟ ولو بحثت عن السبب لما وجدت جراثيم أخطر من هذه الجراثيم ، ولا سموم أضرّ من هذه السموم التسعة على وحدة الأسرة ووحدة المجتمع ووحدة الشعوب ووحدة الأمَّة ، وتعاون الناس على الخير ، وإفشاء السلام بين الناس من أجل أن يتنفس الجميع هواء الحبّ ، وهذه السموم التسعة حائل كثيف مُعتم يحول بيننا وبين هذا الهواء النقيّ ، والدعوة إلى الله إن لم يتجنَّب القائمون بها هذه السموم بوضوح وبعزيمة في الحاضر وفي المستقبل مستفيدين من عشرات الدروس الماضية ، فستظلّ الدعوة فيهم وبهم فاقدة عصمتها وحفظها ، وسيبقى المسلمون بعدم تجنُّبهم بحكمة لهذه السموم بين حمل وإجهاض ، حتَّى تُرفَع الحقيقة ولا يبقى في الأرض إلا لُكَعْ ابن لُكَعْ .

السؤال الخامس :

ماذا تقصد بالسياسة والهدم ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

أقصد الاشتغال بالسياسة بطريقة هدَّامة أو بطريقة عشوائيَّة أو بطريقة كاذبة أو بطريقة أنانيَّة أو الدافع لها مصلحة شخصيَّة أو بطريقة صبيانيَّة أو بطريقة ليس فيها بُعد نظر وعمق فكر ؛ لأن السياسيّ هو الذي يسوس الأمَّة أو الشعب من داخل السلطة بعدل ورحمة وحكمة وطهارة وواقعيَّة ، ويكون أغنى الناس عنها إلا أن تكون قدَرَاً وتكون أعماله وتصرُّفاته من أعمال آخرته ، بمعنى في صحيفة حسناته ، والسياسيّ السليم هو الذي يسوس الأمَّة أو الشعب من خارج السلطة متعاوناً مع السلطة بحكمة وأمانة وصدق ، وهو دائماً لَبِنَة سليمة متينة في صرح الوطن وفي بناء المجتمع ، سواء أكان في السلطة بإرادة الله ثم بإرادة الشعب ، أم بعيداً عن السلطة بإرادة الله ثم بإرادة الشعب ، وقد تسأل يا ولدي فتقول لي : هل يجوز في رأيك اشتغال الداعي إلى الله بالسياسة ؟ فهيَّا بنا يا ولدي إلى المعلومة الثانية كي أجيب على هذا السؤال ، إن شاء الله .

معلومة {٢} :

يا ولدي الداعي إلى الله لا ينبغي أوّلاً أن يتحيَّز لحزب أو لطائفة أو لجماعة أو لمذهب معيَّن ؛ لأنَّه داعٍ إلى الله ربّ العالمين ، ثم إنَّه من خلال العلم النافع والعقل الحرّ والنظر الثاقب والقدوة الحسنة قلباً

وقالباً ، مع طهارته من الأغيار المفرِّقة ، والأهواء الزائفة ، والشهوات المُنحرفة ، أقول : إنَّه من خلال هذه الأنوار والتلبُّس بها تكون مهمَّته تربية الأمَّة وتعليمهم بالحبِّ والسلام حتَّى ينشأ وينبت ويترعرع المواطن المُتقن لعمله بخبرة وحكمة وصدق وأمانة في مجال تخصصه ، سواء أكان سياسيّاً أم اقتصاديّاً أم اجتماعيّاً أم غير ذلك من ميادين الحياة ، هذا المواطن وهذا الإنسان ــ أيّاً كان هذا الإنسان ــ الذي مهمَّة الداعي إلى الله تربيته وتعليمه بالحسنى وبالقدوة ينشأ سليماً ، يجمع ولا يُفرِّق ، ويبني ولا يهدم ، ويُصلح ولا يفسد ، ويتسامح ولا يتعصَّب ، وينطلق ولا يتحيَّز ، والداعي إلى الله بذلك مفتاح خير للجميع القريب والبعيد ، المسلم وغير المسلم ، وهو باب سلام للجميع ، ولا يتحقق السلام إلا بالتعارف والتآلف والتكاتف ، ويظلّ الداعي إلى الله هو السماء التي تظلّ الجميع ، والشمس التي تُشْرق على الجميع ، والهواء الذي يتنفَّسه الجميع ، هواء القلوب الطاهرة والعقول الحرَّة مع اليُسر لا العُسر ، مع المحافظة على أمن المواطن والوطن ، والفِرار إلى الله . هذه هي دعوة الله ، وقد تتساءل : أليس الإسلام ديناً ودولة ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثالثة .

معلومة {٣} :

يا ولدي الإسلام هو دين الله ، أو الدين عند الله ، وهو خُلق وعلم ، وما من نشاط في الدنيا يستقيم أمره إلا بالخُلق والعلم ؛ لأنَّ العلم خبرة وإبصار في العقل ، والخُلق نور وصدق في

القلب ، وإذا توفَّر الإبصار والنور كانت حركة الإنسان واعية هادفة بنَّاءة خيِّرة ، فالداعي إلى الله ليست مهمَّته أن يحكم ، ولكن مهمَّته أن يُربِّي ويُعلِّم بالحكمة والأسوة ، وافتح يا ولدي كتاب الله واقرأ الآية الثانية من سورة الجمعة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ لعلَّك أدركت أنَّ الرسول ﷺ لم يكن حاكماً ولكنَّه كان خليفة أي مرآة تعكس بصدق أحكام الله الحَكَم العدل ، وهل يقدر أيّ داعٍ إلى الله على ذلك سوى الرسول المعصوم ﷺ ، وبعده خليفته المحفوظ الصدِّيق ، وبعده خليفته العادل الفاروق وبقيَّة الخلفاء الراشدين ؟ وهم الذين أسس الله بهم دينه فلم يكونوا حكَّاماً ولكنَّهم كانوا مؤيِّدين للداعي إلى الله الحقيقي لإقامة هذا الدين الحقّ ﴿ ...هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأنفال ، لأنَّهم يدركون ما وراء قول الله في آية الكرسي من سورة البقرة : ﴿ ... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ... ﴿٢٥٥﴾ ﴾ وسأتركك يا ولدي تتدبَّر هذا القول الكريم ، ومع هذا يا ولدي نجد في عصر هؤلاء الأطهار أنَّه قد حدث ما حدث من الفتن والقتل بسبب الاشتغال بالسياسة والحُكم ، فما بالك إذا اشتغل الداعي إلى الله بالسياسة في عصر النفاق والشقاق وسوء الأخلاق الذي كاد يُشرف على عصر (لُكَع ابن لُكَع) ؟! أعاذنا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

السؤال السادس :

ما هي الطائفيِّة والتعصُّب ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي الطائفيَّة والتعصُّب أعني بهما أن تُمارِس كلّ جماعة من الناس عملها ونشاطها لهدم الجماعة الأخرى ، فهو صراع نفسي نتيجة التفاوت في الجهل ، ونتيجة للبُعد عن العلم الصحيح ، وإذا التزم الناس بالعلم الصحيح وتحقَّقوا به ، ازداد هذا العلم نتيجة لمباراة شريفة هادئة بين العقول ناشئة عن التفاوت في العلم ، فالتعاون على البرّ والتقوى ينتج عن تفاوت الناس في العلم والقُرب ، والتعاون على الإثم والعدوان ينتج عن تفاوت الناس في الجهل والبُعد . ولكن هل يمكن لملايين المسلمين أن يندرجوا في طائفة واحدة أم أنَّ نظام الطوائف نظام طبيعي ؟ فمتى يكون ممدوحاً مطلوباً ؟ ومتى يكون ممقوتاً مرفوضاً ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي أوَّلاً يجب أن يتدبَّر المسلمون جميعاً هذا الإنذار الذي تشير إليه هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام ، فالمشكلة أو العلَّة ليست في تعدُّد الطوائف أو القبائل أو الشعوب ؛ لأنَّ التعدُّد غايته التعارف ، فما يتعارف الناس إلا لتعدُّدهم ، ولكن العلِّة المُهلكة في أن يجعلوا وسيلة التعارف

ووسيلة التآلف وسيلة للتفرُّق والخلاف والصراع والله يقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ آل عمران ، تدبَّر يا ولدي كون تفرُّقهم واختلافهم من بعد ما جاءتهم البيِّنات ، والبيِّنات دين الله فكم هم أغبياء وخبثاء أن استعملوا وسيلة الهُدى للتضليل ، ووسيلة الجمع للتفريق ، ووسيلة البناء للهدم ، هذه هي المشكلة يا ولدي ، فالتعدُّد في الأمَّة الناجية تعدُّد مصابيح والنور واحد ، وتعدُّد صنابير والماء واحد ، وتعدُّد مدارس والمنهج واحد ، وتعدُّد مساجد والعبادة واحدة ، أو بمعنى آخر تفاوت في المعرفة الحقَّة بين العقول : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف ، فالاختلاف هنا رحمة ، وبخاصة أنَّ طوائف الأمَّة الناجية ثلاث طوائف متداخلة متحابَّة لا تستغني طائفة عن الأخرى أبداً ، هذه الطوائف هي : طوائف العلم ، فالمسلم إما أن يكون مُعلِّماً ، أو متعلِّماً ، أو مُحِبّاً ، ولا يملّ من التنقل بين هذه الدرجات الثلاث ـ درجات الرحمة ـ هذا هو التعدُّد البنَّاء الذي يجمع ولا يُفرِّق ، ويبني ولا يهدم ، ويُصلح ولا يُفسد ، ويتسامح لا يتعصَّب ، وغير ذلك مهما كانت الأسماء برَّاقة إنَّما هي الفتن ، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها .

السؤال السابع :

ما هو الحسد والبغضاء ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي لقد حذَّرنا النبي ﷺ من الحسد والبغضاء ، هذا السمّ القاتل وهذه الآفة المُهلكة ، ويكفي أنَّ النبي ﷺ وصف الحسد والبغضاء بأنَّها (الحالقة) حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والشعر يا ولدي في الرأس وجاهة ، وفي الوجه ذكورة ، فهو جمال وبخاصة في الأنثى ، وإشارة بلوغ في الذكر ، ونور في وجه الرجل بمعنى أنَّ اللحية في وجه المؤمن قبل أن تكون واجباً أو سُنَّة ينبغي أن تكون فيضاً ؛ لأنَّ المسلم وبخاصة الداعي إلى الله كأس امتلأ بنور الله ففاض ، فلا ينبغي أن يكون الواجب أو السنَّة مجرَّد شعر ينبت في أيِّ وجه بلا معنى وبلا مضمون وبلا عمق ، وحروف كلمة (الشعر) ـ الشين والعين والراء ـ تشكِّل كلمات لها معانٍ تتعلَّق بالنفس وبالفكر وبالإنسان عموماً ، فالشِعر المباح يُعبِّر عن انفعالات النفس الصافية ، وبنات القريحة العفيفة ، كما أنَّ كلمة (الشعور) تشير إلى الضمير الحيّ ، والإحساس النبيل الذي يفرز السلوك الطيِّب البنّاء ، وينضح بكلّ تقدُّم ورخاء ، وهكذا تجد الكلمات والأسماء في اللغة العربيَّة ، لغة القرآن ولغة النبي ﷺ ولغة الكون ولغة الحقائق اللغة الغنيَّة الثريَّة ، هي لغة الفصاحة والبلاغة ، ويكفي أنَّها لغة العربي لا الأعجمي ، وعلى ضوء ما ذكرت من

معانٍ وإشارات يكون الحسد والبغضاء هو الوباء الذي يأتي على كلّ مشاعر الحبّ وأحاسيس الوفاء ، وهو الطاعون الذي يقتل الرِقّة في النفوس ، ويطفيء النور في القريحة ، فماذا بقيّ للناس بعد ذلك إلا الزور والبور ؟! نعم يا ولدي إنّ الحسد والبغضاء حالقة الدين لا حالقة الشعر ، أي أنّها مُهلكة في العمق ومدمِّرة في الأصل ، وماذا يبقى بعد ضياع العمق وتآكل الأصل إلا الضلال المبين ؟! ولكن من أين ينشأ هذا المرض الخطير الحسد والبغضاء ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية ، فهيَّا بنا .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي كما أنّ للأجساد أُصولاً وفروعاً وهي خَلق ، فصورة آدم مثلاً يتوارثها الناس جيلاً بعد جيل ، صورة الرأس والصدر والبطن واليدين والرجلين وهكذا ، كذلك (الخُلق) في القلب تتوارثه القلوب حسب معدنها ، وبقدر التشبُّث بالفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها أو تغييرها ، والهبوط بها إلى أسفل سافلين : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ التين ، وأصل مكارم الأخلاق هو الموصوف بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم (ﷺ) وأصل مساوئ الأخلاق هو إبليس ـ عليه لعنة الله ـ إذاً الناس من حيث أجسادهم أبوهم آدم عليه السلام ، وآدم من تراب ، وهم في ذلك فريق واحد ، أمَّا من حيث أخلاقهم وهي أصول عقائدهم وأعمالهم ومعاملاتهم فريق في الجنَّة وفريق في السعير ، فمن ورثوا عن النبي ﷺ النور فهم

الفرقة الناجية ، ومن أخذوا عن إبليس النار فهم أصحاب النار وبئس المصير ، إذاً الحسد والبغضاء مرض خطير يُورِّثه الشيطان لمن يمزِّقون المجتمع ويفرِّقون الأُمَّة ويشعلون النار ـ نار الفتن والخلاف ـ بالباطل ؛ لأنَّه مرض يصيب العقول بالشلل أو يسخِّرها للهدم و (الفتنة نائمة لعن الله من أيقضها) .

السؤال الثامن :

• ماذا تقصد بالأُسلوب الهجومي فِي الدعوة ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي الداعي إلى الله طبيب وحكيم ، والطبيب لا يهاجم المريض ، هذا لو فُرِض أن الطبيب صحيح (أي معصوم أو محفوظ) ، فما بالك وهو ليس كذلك ؟! : ﴿ ... فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم ، فلا معصوم إلا الأنبياء وإمامهم خاتم النبيِّين ــ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ــ صاحب العصمة الأصلية ، ولا محفوظ إلا أئمَّة المتَّقين من العلماء العاملين والأولياء الصالحين ماداموا مندرجين في جدِّهم ﷺ ، وما داموا محتفِّظين بكونهم مجرد أطبَّاء حكماء لا يعالجون بغير حكمة ولا يتكلَّمون بغير وعي ، ولكن يلينون حيث يكون اللين دواء ، ويُنذِرون حين يكون الحسم شفاء ، يرضون لله برحمة ، ويغضبون لله بعدل ، فهم دائرة رحمة محيطها العدل ، هم الأحفاد والأوتاد ، وقد تسأل يا ولدي : وهل الأصل في النبي محمَّد ﷺ ــ الداعي إلى الله بإذنه ــ كان الشدَّة أم اللين ؟ سؤال جميل تجد إجابته يا ولدي في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي الأصل في النبي ﷺ الرحمة ؛ لأنَّ الله أرسله رحمة للعالمين ، وهو النعمة التامة والرحمة المهداة ، والرحمة لين وشدَّة ، بمعنى أنَّه يلين فضلاً من الله ، ويشتدّ عدلاً من الله ؛ لأنَّ

الرحمة دائرة فضل محيطها العدل ، ومركزها خاتم النبيِّين ﷺ ، ومن حوله الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين ، ومن معهم من المطيعين لله ورسوله ، وحَسُنَ أُولئك رفيقاً ، إذاً هو ميزان الحقّ في الوجود وضعه الله ليقيم به دينه : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ﴾ الرحمن ، وتأمَّل يا ولدي وتدبَّر أنَّ هذه الآية في سورة الرحمن ، إنَّها لإشارات إلى المخلوق الكامل الذي جعله الله الدواء والشفاء ، والرحمة والنعمة التي لا تُحصى ﷺ .

السؤال التاسع :

ما هو الجدال المضيِّع للوقت والمودَّة ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي الجدال في أصله فيه نظر ، فإن بقيّ مقصوراً على توضيح الحقيقة بالدليل والبرهان بالتي هي أحسن فهو مُباح ، وقد يصل إلى درجة الوجوب مادامت هناك فرصة لمعرفة الحقّ ورغبة للاهتداء ، وهذا هو الجدال العلمي الواعي الذي لا يُضيِّع وقتاً ولا يُوغر صدراً ويكون للضرورة ، فهو جدال يُثري العقول ويزيد العلم والمعرفة ، أمَّا الجدال الذي أعتبره سُمّاً قاتلاً مضيِّعاً للحقائق موغراً للصدور ، مُفرِّقاً للجماعة فهو الجدال الناتج عن جهل وعن هوى وعن أنانية وعن رغبة للغلبة بغير الحقّ وبغير دليل ، فمثل هذا الجدال لا يقع إلا بين أناس فرَّقُوا دينهم وكانوا شيعاً والله يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام ، يا ولدي : كيف فرَّق المسلمون الدين إلا من رحم ربُّك ؟ وهل الدين يُفرَّق ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي ألا تنظر إلى شاشات الفضائيَّات ؟ ألا تسمع نشرات الأخبار هنا وهناك ؟ ألا تتصفَّح الصحف وبعض الكتب المتآمرة على حريَّة عقلك وطهارة قلبك ؟ ألا ... ألا ترى وتسمع عن فتن كقطع الليل المظلم ؟ وسترى أن الدعوة إلى الله تحوَّلت إلى حركات وآهات

وصرخات وتمثيليّات ، بل إلى (دولارات) وريالات وجنيهات ، وكلّ يُفتي على وزن (يُغنّي على ليلاه) إن صح هذا التعبير ـــ إلا مـــن رحم ربّك من العلماء والأولياء ـــ وستقرأ كتباً متفرّقة كلّ كتاب يعبّر عن هوى طائفة تقاتل أخرى بمداد كـــدم مســـفوك بغيـــر الحـــقّ ، والحقيقة يا ولدي أنّني كلّما رأيت وسمعت وقرأت أدركت الحكمة من كون الله هو نفسه الذي تكفّل بحفظ كتابه ، فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر ، تصوّر يا ولدي لو كان حفـــظ القـــرآن موكولاً إلى الخلق ماذا كان سيحدث ؟ لو حدث هذا يا ولدي لألّفـــت كلّ فرقة قرآناً من نسج خيالهـــا ، وأوهامهـــا وتنطعهـــا وجهلهـــا وهواها، ولظهر في السوق عشرات النسخ المتناطحة المتصارعة ، ولكن الله تفضّل على أوليائه الصالحين بهذه النعمة العظمى ـــ نعمة حفظ المنهج حفظ القرآن في المصحف ـــ بل جعله آيات بيّنات فـــي صدورهم منزوعة الغلّ المتلقية للقرآن من خلال قلب النبي ﷺ مـــن لدن حكيم عليم ، هذه الفِرق وهذه الشيع وهذه الطوائف هي التـــي تُفرّق دينها لا دين الله ؛ لأن دين الله ســـيبقى يجمـــع ولا يُفـــرّق ، ويبني ولا يهدم ، ويتسامح ولا يتعصّب ، ويُصلح ولا يُفسد ، سيبقى دين الله الذي يدين به الأولياء كالماء الطهور عديم اللون والطعـــم والرائحة ، الدين المطلق ، إنّ أمّة هذا الدين ليس فيها من طوائـــف إلا ثلاث طوائف ، يروي بعضها بعضاً لتحيا وهي : طائفة المعلّمين الذين يعلّمون بعلم الله ، وطائفة المتعلّمين لعلم الله ، الذين يتلقّـــون بقلوبهم وعقولهم علم الله ، وطائفة المحبّين . وتأمّل يا ولدي هـــل

تستطيع أيّة طائفة من هذه الطوائف النورانيّة الثلاث أن تستغني عن أختها ؟! ثم إنّ كلّ طائفة ليست جامدة ولا مُحيَّزة في ذاتها ، وإنّما المعلِّم معلّم لمن هو دونه ، ومتعلّم ممَّن هو فوقه ، والمُحبّ يرفعه الله درجات بقدر حبّه للمعلِّم والمتعلِّم ، ويوفِّقه بما تعلَّمه أو استفاده من صحبة الجميع ، أمَّا المتعلِّم فهو أيضاً متعلِّم ممَّن فوقه ومعلِّم لمن تحته بقدر ما يستطيع بدون هوى بل بالإذن والأدب ، فالصغير يوقِّر الكبير ، والكبير يرحم الصغير : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف ، هذا القول الكريم أحبّ أن أُفصِّله لك في المعلومة الثالثة .

معلومة { ٣ } :

﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف ، كلمات قليلة العدد وتحمل إشارات ومعاني لا تُعدّ ولا تُحصى ، وملخَّص ما أريد أن أقوله لك : إن أُمَّة النبي ﷺ الناجية لا الزائفة والحائرة هي أمَّة متواصلة مترابطة يروي بعضها البعض ، وإذاً أتدرَّج بك يا ولدي من الأدنى إلى الأعلى فاقترب منِّي يا ولدي ، أوَّلاً أنت تعلم أنَّ العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ، وأنَّ النبي ﷺ بُعث مُعلِّماً ، والعلم في هذا الدين وفي هذه الأمَّة روحه الأدب وكيانه كلّه مكارم الأخلاق فأدني مسلم من الأمَّة الناجية وأقول الناجية (ذو علم) ، وفوقه الصالح (عليم) ، والصالح (ذو علم) فوقه الشهيد (عليم) ، والشهيد (ذو علم) فوقه الصدِّيق (عليم) ، والصدِّيق (ذو علم) ، فوقه النبي (عليم) ، والنبي (ذو علم) ، فوقه

الرسول (عليم) ، والرسول (ذو علم) ، فوقه الرسول من أولي العزم (عليم) ، والرسول من أولي العزم (ذو علم) ، فوقه خاتم النبيِّين (عليم) ، وخاتم النبيِّين (ذو علم) ، وفوق الجميع الله الذي آتاهم العلم ، فأين التفرُّق ؟ وأين الاختلاف ؟ ومن أين تأتي الفتن هذه الأمَّة الناجية ؟ إن الفتن أرضها التي تنبت فيها هي صدور الذين فرَّقوا دينهم تحت عناوين وأسماء وتعريفات ما أنزل الله بها من سلطان ، أمَّا الأمَّة الناجية فهي أمَّة العلماء الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : ﴿ ... فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب .

السؤال العاشر :

ما هي البدع والخرافات والوهم والرسم ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

البِدَع : هي كلّ قول أو فعل يتنافى مع العقل والعلم ومع الحكمة ومع العُرف الطاهر في كلّ مجال مادي ومعنوي ، ولا تتكاثر البدع والخرافات إلا في مجتمع لم تعقل فيه العقول بالعلم الصحيح السمح ولم تُحصَّن فيه القلوب بعقيدة التوحيد ، ولم تُزكَّ فيه النفوس بحبِّ الصالحين والأدب معهم ، والبدعة بمعني مخصوص : هي ممارسة الطاعة بصورة عاصية لله ، وإتيان الحسنة بصورة سيئة ، والقيام بعبادة مشوَّهة ، وهذا كلام يحتاج إلى توضيح ، فالصلاة في المسجد عبادة لله وما يتعلَّق بها من طهارة ووضوء وأذان وإلقاء دروس العلم ومجالس الذكر إلى غير ذلك من رسالة المسجد ، تأمَّل يا ولدي ما يحدث فستجد أنَّ كثيراً من المنتسبين للإسلام قد حوَّلوا المسجد إلى مسجد ضرار من خلال وجودهم في المسجد ، يؤذون المرضى في مضاجعهم والعجزة في بيوتهم ، ويُصدِّعون الناس في مساكنهم ، وكيف تجلس ربَّة بيت مثلاً في بيتها تُصلِّي أو تتلو القرآن ؟ وكيف يجلس طالب علم على مكتبه ليذاكر ؟ إنَّ هذا الصراخ بغير علم ولا وعي الصادر من مكبرات الصوت باسم الدين ، والدين منه براء ، إنَّني أعرف بعض الأسر التي تؤجِّل صلاة المغرب حتى تنتهي صلاة المغرب في المسجد ، ولا أدري

لماذا كلّ هذا ؟ فالمعروف في الدين هو توصيل صوت الإمام للمأمومين ليتبعوه في الصلاة ، والمطلوب قطعاً الاعتدال في كلّ شيء ، والنهي عن رفع الصوت أو خفضه بدون اعتدال ، يقول الله : ﴿ ... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الإسراء ، يتضح لك يا ولدي أنَّ مَن يفعلون ذلك حوّلوا بيوت الله إلى مساجد ضرار ، بل نجد بعضهم يتهجَّدون في جوف الليل بمكبرات الصوت ، ما هذه الأمور الغريبة ؟! يحدث ذلك وليس هناك من مرشد ولا موجِّه ولا مسئول يلفت النظر إلى هذه التصرُّفات المؤذية التي قد تكون صادرة عن حُسن نيَّة ، ولكن الدين ليس نيِّة فقط وإنَّما هو نيَّة وعمل . ووصل الأمر أنَّ أحد الناس قال ساخراً : إنَّ الأم إذا غضبت في زمننا هذا على ابنها دعت عليه فقالت : (ابتلاك الله بمسجد بجوار بيتك !) تصور يا ولدي إلى أيّ حدّ وصلت نظرة الناس إلى المسجد ، المكان الذي ينبغي أن يكون مدرسة للسكينة والهدوء ومركزاً للاطمئنان والوعي ، هذه يا ولدي صورة من صور البدع المنتشرة التي حوّلت العبادة إلى عادة سيئة ، وحوّلت العادة إلى أذى من خلال صرخات وآهات ونغمات ، أما الخرافات فموضوعها في المعلومة الثانية فهيَّا بنا إليها .

معلومة { ٢ } :

يا ولدي إذا قال أحد الناس كلاماً غير معقول أو مقبول أو لا يتَّفق مع العقل أو العلم ، نجد من يُعلِّق على ذلك بقوله : " هذه خرافات " أي هي أقوال لا أساس لها من الصحة مصدرها الوهم والخيال

المريض ، وإذا تأملنا أوّل كلمة نزلت من القرآن نجدها كلمة " اقرأ " بُعث بها ﷺ وهو في غار حراء نبياً رسولاً مُربّياً مُعلِّماً ، وهذه الكلمة تعني العلم والمعرفة والوعي ، وأن يتوجه الإنسان بكلّ حواسه الظاهرة والباطنة لإدراك كلّ معلوم صحيح نافع ، وأن يكون المسلم عالماً طالباً العلم من المهد إلى اللحد ، وأن يكون خبيراً باحثاً بوعي وصدق عن الحقائق عمليّاً ومعنويّاً ، ولذلك وصف النبي ﷺ المؤمن بأنَّه كَيِّس فطن ، وصفة الفطانة (الذكاء) واجبة في حقِّ الأنبياء ــ عليهم السلام ــ والتزكية شرط من شروط سلامة القلب ، فالإسلام ذكاء وتزكية ، إذاً المسلم بعيد كلّ البُعد عن الخرافات في قوله وفي فعله وفي شعوره وفي إحساسه ؛ لأنَّه يقرأ لا بمعنى النظر في السطور فقط ، ولكن بالمعنى الكامل الشامل المدرك للحقائق كما هي عليه بدون وهم أو رسم ، فهو يزن الأمور كلَّها بميزان العقل والنقل ؛ لأنَّه بعقل ذكي وقلب زكي يحترم سُنن الله في كونه ، فليس في حياته كُهَّان ولا عرَّافون ولا أزلام ولا سِحر ولا تمائم ولا وَدَع ولا تطيُّر ولا تشاؤم ، ولا يختلق أحلاماً أو أوهاماً أو اعتقادات ما أنزل الله بها من سلطان ، أي أنَّه يتعامل مع الله الحقّ لا مع الشيطان ولا مع الجنّ ولا مع النفس التي تكذب على نفسها ، إنَّه يدين بالحنيفيَّة البيضاء التي ليلها كنهارها ، ومتخلِّق بالعلم والهدى والكتاب المنير ، وقد اُبْتُليت هذه الأمَّة بطائفتين : طائفة ضلَّت وأضلَّت بالرسم ، وطائفة ضلَّت وأضلَّت بالوهم وهيا بنا يا ولدي إلى المعلومة الثالثة لتعرف المقصود بهذا القول .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي طائفة الرسم أنكرت الحقيقة باسم الشريعة ، وطائفة الوهم ضيَّعت الشريعة باسم الحقيقة ، وبقيت كلّ طائفة بعين واحدة هي عين الهوى الضال المضلّ ، وهذا يذكّرنا بصاحب العين الواحدة ـ المسيخ الدجّال ـ وكان على المسلم أن يدرك ما وراء هذا القول الكريم من معانٍ : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ الجاثية ، أنا لا أتّهم هؤلاء أو هؤلاء بالكفر ، ولكن ما هم عليه لون من ألوان الضلال ، إلا إذا أحلَّ أحدهم أو بعضهم حراماً أو حرَّم حلالاً فهذا كفر وزندقة . يا ولدي إنَّ الشريعة ظاهر الحقيقة ، والحقيقة باطن الشريعة ، أو بمعنى آخر أنَّ الشريعة مصباح الحقيقة ، والحقيقة نور الشريعة ، وبذلك يتضح لك أنَّ إنكار إحداهما أو تضييعها ظلام وظلم ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، فالذين ظنُّوا أنَّ الدين مجرَّد رسومٍ وتوجَّهوا بكلِّ اهتمامهم إلى القشرة فكانت (بيضتهم) مجهولة الهويَّة ، فهل هي سليمة أم فاسدة ؟ بينما الآخرون توهَّموا أنَّهم مع (البيضة) سليمة بدون قشرة ، فهل هذا ميزان حقّ أو ميزان عقل تُوزن به الأمور أم هو الهوى والوهم ؟ وتمزَّقت الأمَّة إلى فِرَق وشيع ليس النبي ﷺ منهم في شيء ، عجباً لهذا الذي يهتمُّ بعنف بشعور وجهه ولا يعبأ بشعور قلبه ! وكأنَّ ما أظهره من الدين في قالبه كعود من الذرة غرسه صبي عابث في الطين ، فهل تجد له ثمراً ؟ وإني لأشدّ دهشة

من هذا الذي يريد أن يستضيء بالتيَّار الكهربائي بدون مصبـــاح ، كذلك من هذا الذي يريد أن يضيء مصباحه بدون كهرباء ، إذاً هيَّا يا ولدي نستعيذ بالله من كلِّ قالب بدون قلـــب فهو راسم ، ومن كلِّ قلب بدون قالب فهو واهم ، وندعو الله أن يُلْحِقنا بكلٍّ مـــن يُشـــرق قالبه بنور قلبه ، ويشهد ظاهره بسلامة غيبه .

السؤال الحادي عشر :

ما هي الماديَّات المفسدة للقلب والقالب ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي الماديَّات هي كلّ شيء متعلِّق بالجسد ويمكن للجسد بحواسه إدراكه إن وُجد في حيِّزه ، وأقرب الماديَّات إلى الجسد مأكله وما يحتاج إليه الجسد ، والماديَّات مُفسدة للقلب حين تكون حراماً ، ومُفسدة للقالب حين تكون خبيثة ، وهي بهذه الصورة مُفسدة عموماً ؛ لأنَّها مُغتصبة بهوى ومسلوبة بشهوة ، مأخوذة بنفس اشتهت بدون حقّ وهوت بدون عقل ، والمادة في حدِّ ذاتها نعمة لا تُفسد قلباً ولا تُخرِّب قالَباً ، وإنَّما المُفسد هو التعلُّق المُحرَّم الخبيث المُنحرف عن رسالتها في الوجود ، فالتعامل مع المادة وبخاصة المال بغير الحقّ وبدون العقل هو المقصود بهذا السمّ السابع .

معلومة {٢} :

يا ولدي إنَّ قوت الإنسان المسلم هو عُنق الدين الذي يصل بين القلب والقالب ، كما يصل عُنق الجسد بين الرأس والبدن ، فإذا سلمت اللقمة صحّ وقُبِلَ العمل فازداد الإيمان ، وإذا لم تسلم اللقمة زاغ القلب وانحرف القالب ، فاللقمة الحلال حياة ، واللقمة الحرام ذبح وقتل ، وإذا تشرَّب قلب الإنسان حبّ الدنيا وصار من أهلها الذين لا يرجون الله ولا اليوم الآخر ، فقست قلوبهم من ذكر الله ،

كما قال الله في كتابه في سورة الزمر : ﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ فهذا هو الموت الحقيقي فمن كانت غايتــه الــدنيا ضلّ وأضلّ ، وبخاصة حين يتّخذ الآخرة مطيّة للــدنيا ، أي يتــزيّ بزيّ الإسلام وهو ممزّقه ، ويرفع راية الدين وهو مُنكّسها ، وبذلك تتوالى النكسات وتتوالى الصراعات فلا هُم الذين عملوا لآخرتهم ولا هُم الذين أبقوا على دنياهم ، تصوّر يا ولدي مُسلماً يتظاهر بالتديُّن ليتّخذه وسيلة لجمع الدنيا فيخرّب آخرته ، إنّ دعوة الله أطهر مــن أن يُلوّثها بذرّة من الدنيا ، وإنّ لحظة من حياة المسلم أغلى من أن نضيّعها في كسب الدنيا للدنيا ، ولكن المؤمن الكيّس الفطن هو الذي يتّخذ دنياه مطيّة إلى الآخرة ، بل يتّخذ آخرته مطيّة إلى ما فوق ذلك من زيادة من مُتعة النظر إلى وجه الله الكريم ، متّعنــا الله وإيّــاك بذلك.

السؤال الثاني عشر :

أين توجد المادة في حياة الإنسان ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي للمادة حدود في حياة الإنسان يجب أن لا تتعدّاها إلى قلبه فيكون من الموتى ؛ لأنَّ قلب الإنسان يكون على شاكلة ما تعلَّق به ، فمن كان حبّ الدنيا في قلبه واستغرقه فهذا قلبه مريض أو ميت ؛ لأنَّ الدنيا زائلة وهي دار الموت ، فمن تعلَّق بها مات قلبه ، فأهل الدنيا هم الذين تعلَّقت قلوبهم بفانية ، وحدود المادة في حياة الإنسان هي ذاته البشريَّة ، فالمادة وطنها المشروع هو الجيب لا القلب ، ولماذا الحذر من المادة ؟ لأنَّ المادة حجاب ، فكما أنَّ المادة تحجب العين عن رؤية الأشياء فإنَّها في صورة حال تحجب القلوب عن كشف الحقائق واتِّباع الهدى إذا تعلَّقت بها ، لماذا حُبّ المادة يُعمي القلوب ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي إذا تعلَّق القلب بميت مات ، وإن كان من علامات موت الجسد فقدان الحركة والإدراك بالحواس الظاهرة : العين والأذن وحاسة الشمّ وحاسة التذوق وحاسة اللمس ، كذلك توقف المخّ وتعطل القلب ، هذا هو موت الجسد وهو وسيلة إيضاح لأحوال القلب ، وقد سبق أن قلت لك : إنَّ تعلق القلب بميت يُميته ، والمادة شيء ميت ، أي ليس له كيان حيّ يسمع ويبصر ويحسّ ، وإنَّما

المال جماد ، فإذا تعلَّق القلب بجماد جمد وتبلَّد وقسى ، وبذلك يفقد القلب القدرة على الكشف وعلـى الإبصار وعلـى السـمع وعلـى التمييز ، فالمحبوب يتجلَّى بصفاته على المُحبّ ، أي من تعلَّق قلبـه بأعمى أصابه العمى ، وإذا تعلَّـق ببصـير أبصـر وكشـف وأدرك وتبيَّن ، والحيّ المحيي هو الله ، فإذا تعلَّق قلبك به أحياه ، وإذا نجا القلب من الموت تفتَّحت حواسه ، فأدرك وميَّز وعلم وذاق فعرف ، ومن أجل ذلك كان أهل حبّ الدنيا موتى من حث قلوبهم ، فـاحرص يا ولدي أن يتعلَّق قلبك بمن يُحيي قلبك ، وممَّا يزيده علماً وهدى ؛ لأنَّ القلب إذا عمي بالمادة ترتَّب على ذلك سُمَّان ، هيَّا بنا يا ولدي لنستدلّ عليهما في المعلومة الثالثة لتكون على حذر منهما هيَّا بنا.

معلومة {٣}:

يا ولدي ليس من دليل على عمى القلـب أكثـر مـن الصَـدّ عـن الصالحين أو الصدّ عن زيارتهم ، ولذلك يقـول الله : ﴿ ... وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ الأعراف ، تدبَّر يا ولدي هذا القـول الكريم الصادق الذي يدلّ على عمى المشركين وصـدق الله : ﴿ ... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج ، ولذلك جعلتُ الصدّ عن الصالحين في حياتهم وبعد مماتهم سمّاً من السموم التي تحرم الإنسان من حياة الحبّ والسلام والعلم والأدب ، ويحرمه من أن يشمّ عبير السعادة ؛ لأنَّهم قوم لا يشقى بهم جليسهم ، إنَّهم مرايا الحقّ ومصابيح النور ، ولا دليل على العمى القلبـي إلا عـدم رؤيتهم وعدم الإقبال عليهم والتأدُّب معهم والنجاة بصحبتهم ؛ لأنَّهم

سفن النجاة ، وتأمل يا ولدي حين قال الله لملائكته ومعهم إبليس : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة ، لماذا هذا الأمر بالسجود ؟ وهل هناك سجود لغير الله ؟ أقل القليل من العلم يعلّمنا ، أنَّ سجود العبادة لا يكون قطعاً وحقّاً وصدقاً إلا لله ، إذاً السجود لآدم ليس سجود عبادة ، وإنّما هو سجود الأدب ، فطاعة الله في السجود لآدم أدب ، وتوقير الصالحين في صورة آدم عليه السلام أدب ، ألا يدلّ ذلك على أنَّها دعوة إلى معرفة الصالحين وحبّهم وتوقيرهم طاعة لله ، والتأدُّب معهم توقيراً لله ، ولذلك يقول الله في الآية الثالثة عشرة من سورة نوح : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ لمن هذا ؟ أليس لقوم نوح ؟ وكيف كانوا لا يرجون لله وقاراً ؟! أي أنَّهم كانوا لا يوقِّرون عبد الله سيدنا نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهذا يعني أنَّ عدم توقير الصالحين يدلّ على أنَّ العبد قد خلا من الأدب ، فالذي لا يوقِّر من أرسله الله لا يوقِّر الله ، والذي يصدّ عمَّن أحبّه الله في حياته وفي برزخه لا يُحبّ الله وهكذا ، وعجباً لهؤلاء الذين يصدُّون عن زيارة أضرحة الصالحين وهي روضات من روضات الجنَّة ، ألا يعلمون أن زيارة قبور المسلمين سُنَّة ، وترك زيارة قبور الكافرين طاعة لله ورسوله ، ألا يُفهم من هذا أنَّ القبور كلَّما صلح ساكنوها فقد أكَّدت السُنَّة زيارتها ، ويرتقي صاحب البرزخ في الصلاح حتَّى نصل إلى قمَّة الصالحين ﷺ ، الذي من زاره بعد مماته فكأنَّما زاره في حياته ، فلو كانت زيارة أضرحة الصالحين

منهي عنها فَلِمَ يشرع زيارة قبره الشريف الذي روضتــه الشــريفة من أعظم ثمرات وجوده ؟! وهل من العقل أو من العلم الصحيح أن يُحبِّب أمَّته في زيارته هو ويجذِّرها من زيارة ابنــة ابنتــه الســيدة زينب مثلاً وغيرها من ذريَّته من الصالحين ؟ والأصل أنَّه سنَّ زيارة قبور المسلمين ، وإذا كان قبره في بداية الأمر أشار إلى أن يكــون في حجرة السيــدة عائشــة ــ رضي الله عنهــا ــ التي لا يفصلها عن مسجده إلا باب مفتوح يصل بينهما ، ولم يأمر بإغلاقــه وفــتح باب لهذه الحجرة بعيداً عن المسجد ، وإذا كان الأمر كمــا يتــوهم هؤلاء الصادُّون فَلِمَ لَم يأمر قبل موته أن يدفن في البقيع عند موته لكي يحسم الأمر ؟ بل قد يندهش هؤلاء بل لا يصــدِّقون أنَّ بعــض الصحابة اقترحوا دفنه بجوار المنبر أول الأمر قبل أن يبلِّغهم سيدنا أبو بكر الصديق : أنَّ الرسول ﷺ أخبره أن يكون قبره حيث يموت ، ولم يعترض عليه بقيَّة الصحابة قبل ظهور وصيَّة رســول الله ﷺ ، وقد ذكر ذلك فضيلــة مفتي جمهوريــة مصر العربيَّة الشيخ / علي جمعة ، في كتابه البيان لِمَا يشغل الأذهان الباب الثالث الفصل الثاني مسائل تتعلَّق بالصلاة ، سؤال رقم (٥٩) ، بــل إنَّ ظهــور قبــره الشريف في الأرض بين الناس لَدعوةٌ عامَّةٌ لزيارة قبور الصالحين.

يا ولدي أنا لا أريد أن أُطيل عليك فهذا الموضوع سأتكلَّم فيه فــــي كتاب الشجرة الثاني بتوسُّع ــ إن شاء الله ــ أمَّا السمّ التاسع فهــو الاختلاط بين الذكور والإناث المؤدِّي إلى الفساد ، وإذا كــان الســمّ الثامن ــ سمّ الصدّ عن الصالحين ــ سمّاً يتعلَّق بالقلوب وما فيهــا

من حسد وكبر فإن السمّ التاسع وهو الاختلاط بين الذكور والإناث المؤدِّي إلى فساد ، هو سمّ يتعلّق بالأجساد المُكبَّة على وجوهها ، يا ولدي إنَّ رسول الله ﷺ لم يدع خيراً إلا أمرنا به ، ولم يترك شرّاً إلا ونهانا عنه ، وتأمّل يا ولدي هذا الحديث لتُدرِك مدى حرص النبي ﷺ على سدِّ منافذ الشيطان ومسالك الشهوات ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع) بسنن أبي داود ، لماذا أمرنا أن نفرِّق بين الأولاد ذكوراً وذكوراً ، وإناثاً وإناثاً ، وذكوراً وإناثاً في المضاجع ؟ لأنَّ الملامسة بين الأجساد محل الشهوات ، يترتب عليها تحريك الشهوات ، فمن باب الوقاية نفرِّق بين الأجساد وبخاصة أجساد المراهقين ، وهذا التوجيه الكريم الشريف يحذِّرنا من الاختلاط المُفسد بين الذكور والإناث ؛ لأنَّ اختلاط الذكر مع الأنثى قد يترتَّب عليه أن يُزيِّن الشيطان الفاحشة ابتداءً من النظرة إلى الكلمة ثم إلى جهنَّم ، من أجل هذا أُحذِّر من الاختلاط وبخاصة الاختلاط في حلقات الذكر ، وفي الخدمات في الموالد ، إنَّ ما يحدث في هذا المجال أستحي أن أذكر بعضه ، لقد اختلط الجهل مع الضلالة ، ويا ليته مجال لا صلة له بالدين ، ولذلك لا تصح إقامة الموالد إلا إذا التزمت بأربعة أشياء :

١- مجلس علم في سيرة الصالحين وغيرها .

٢- مجلس ذكر خالٍ من الوهم والبدع .

٣- إطعام الطعام .

٤- تجارة أحلَّها الله .

وكلّ ذلك بدون اختلاط بين الذكور والإناث ، اللهم إنِّي قد بلغت اللهم فاشهد ، واهدنا جميعاً إلى الصراط المستقيم (صراط الله) .

السؤال الثالث عشر :

ما هي الطريقة التي يجب أن يلتزم بها الجميع ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي الطريقة : هي السيرة والمذهب والحال والسنَّة والسلوك ، وأظنُّها والله أعلم أنَّ لها صلة بمعنى الطَّرْق من أجل طلب الفتح والقبول أو السبيل للوصول ، هذه هي طريقة الهدى المشار إليها في قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الجن، وطريقة الله هي دين الله ، ودين الله هو الإسلام ، وطريقة الله باطنها الحقيقة ، وظاهرها الشريعة ، فهي الطريقة الجامعة ، جامعة الإيمان (وهذه هي الحقيقة) والعمل الصالح (وهذه هي الشريعة) ومكارم الأخلاق (وهذه هي الثمرة) لذلك يؤكِّد النبي ﷺ أنَّه بُعث ليتمِّم مكارم الأخلاق ، ويتمِّمها بعلم ، هذه هي الطريقة الجامعة ، التي كان عليها جميع النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين ــ مقتدين بإمامهم خاتم النبيِّين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، ورضي الله عن عباده الصالحين ــ وحسن أولئك رفيقاً ، هؤلاء الذين أنعم الله عليهم ، فكانوا ولازالوا مصابيح هدى متعدِّدة والنور واحد ، ومجالسهم كانت ولازالت مدارس متعدِّدة والمنهج في جوهره واحد ، فما خالفت مدرسة واحدة منهج الله ، سواءً أكانت مدرسة فقه ومجالها الجسد وهذا هو الإسلام ، أم مدرسة عقيدة ومجالها القلب وهذا هو الإيمان ، أم مدرسة تزكية

وتربية ومجالها النفس والعقل وهذا هو الإحسان ، ودين الله إسلام وإيمان وإحسان .

معلومة {٣} :

يا ولدي لعلّك أدركت أنّ جوهر طريقة الله هي حالة الإنسان المرضي عنها ، فالإنسان هو لبنة أي بناء ، إذا صلح صلح كلّ شيء ، وإذا فسد فسد كلّ شيء ، والله يقول : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ فصّلت ، إذاً بداية الإصلاح من الإنسان ، وتنتهي إلى الإنسان ، وأي إصلاح لا ينبت في الإنسان أولاً فلا أصل له ، وبالتالي لا ميلاد له ، فأين نجده إلا في الوهم والخيال ؟ فالإصلاح سرّ واحد كالكهرباء ، وهذا السرّ جعله الله محفوظاً من الانقسام ، فكيف ينقسم به الناس ؟! بل أقول : كيف يتفرّق المسلمون حول ما شرعه الله لتوحيدهم ؟ وكيف يتّسخ الإنسان بما جعله الله وسيلة لطهارته ونظافته ؟ لا بد أنّ المتفرّقين فرّقوا دينهم وبقي دين الله محفوظاً عند الله الإسلام ، الذي يجمع ولا يفرّق ، ويبني ولا يهدم ، ويُصلح ولا يُفسد ويتسامح ولا يتعصّب ، غايته العبودية لله وحده ، والاتّباع لرسول الله ﷺ والعبوديّة بالاتّباع للأسوة الحسنة ، فتتخلّق القلوب بالتطهير ، والعقول بالتحرير ، والجسد بالتيسير ، ويتخلّق الناس بالتعارف ، والمؤمنون بالتآلف ، ويتخلّق الجميع بالتكاتف ، ويكون حفظ الأمن كالهواء في حياتنا لا غنى عنه ، ثم يكون الفرار إلى الله ليترجم الإخلاص في القلوب عن نفسه ، هذا هو السرّ الذي يجمع ، فإنّ

الكهرباء سرّ واحد ولكنّها تحتاج إلى مصابيح وأجهـزة سـليمة ، وهذا ما أقصـده من منهـج الله ، الذي هـو طريقـة الله ، الـذي لا يتجلّى في حياتنا لإصلاحنا ، إلا إذا استقبلناه بـذوات سـليمة ، ولبنات متينة .

السؤال الرابع عشر :

ما هو منهج الطريقة الجامعة ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي المنهج الإلهي الذي هو منهج الطريقة الجامعة ـ طريقة الله ـ وهو الذي التزم به جميع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين ومن معهم من المطيعين لله ورسوله ﷺ ، هذا المنهج هو كتاب الله ، فهو النور الذي سراجه الذات الشريفة ـ ذات النبي محمَّد ﷺ ـ أو النبي محمَّد ﷺ مصباح نوره القرآن العظيم ، وكونه مصباحاً نوره القرآن ، هو ما عبَّر عنه بالسنَّة : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [إنِّي قد تركت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما : كتاب الله وسنَّتي ، ولن يتفرَّقا حتى يردا على الحوض] (المستدرك للحاكم) وعند الدارقطني بلفظ : (خلَّفْت فيكم شيئين ...) ، والسنَّة هي السيرة وهي الطريقة كما ورد معناها في المعاجم ، وسنَّته هي ترجمة وخيال القرآن الكريم تعكسها حياة النبي ﷺ الشفافة النقيَّة اللامعة المشرقة بنور الله ، وهو الذي كان خُلقه ﷺ القرآن قولاً وفعلاً وحالاً ، وقد وصفه ربّه مشيراً إلى ما ذكرت سابقاً بقوله تعالى : ﴿ ... وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾ الأحزاب ، وهذا هو النور الذي أشرقت به ذوات طاهرة هي ذوات الصالحين كلٌ على قدر سعته ، والصالحون هم أجهزة استقبال وإرسال النور في كلّ عصر ، وهم أوعيته كلٌ حسب سعته

ومراياه التي تتوارثه ، وتعكس بعضها عن بعض ، كلّ حسب نقائه وصفائه ، ومدى نظره بنور الله ، ودرجة شفافيته ، فمن الصالحين من هم فقهاء في الشريعة ، كأئمَّة المذاهب الأربعة وغيرهم ، ومنهم من كان فقيهاً في العقيدة كالإمام الأشعري وغيره ومنهم من كان فقيهاً في التربية والتزكية كالإمام الجنيد ، ومن ظهر بعد ذلك أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني ، والشيخ أحمد الرفاعي ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي ، والشيخ أحمد البدوي ، والشيخ إبراهيم الدسوقي ، والشيخ علي البيومي ، هؤلاء الذين أسَّسوا مدارس للتربية والتزكية ، منهاجها القرآن الكريم ، وأسوتها الحسنة رسول الله ﷺ ، وكلّ مدرسة سُمِّيت طريقة ، ونُسبت إلى المؤسس وغير هؤلاء ، فالخير في النبي محمَّد ﷺ وفي أمَّته إلى يوم القيامة : ﴿... فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ الأحزاب ، وقد تسأل يا ولدي : لماذا تعدَّدت المدارس بين فقه وعقيدة وتربية وخُصّ كلّ فريق بفقهه دون الآخر كما ذكرت ؟ هيَّا بنا يا ولدي إلى المعلومة الثانية لعلَّك تدرك ما أقصده .

معلومة {٣} :

يا ولدي التعدُّد في الناس يكاد أن يكون فطرة بل هو حقيقة في حياة البشر ، فكما أنَّ الناس مختلفون من حيث ألوانهم وألسنتهم فكذلك هم يختلفون لتفاوت عقولهم ودرجات إدراكهم ، وقد جعلهم الله شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، فلو كانوا على شاكلة واحدة لما كان هناك معنى للتعارف ، وإذا تعارفوا تعاونوا ، وازدادت معارفهم ، وهذه

هي الحكمة من الاختلاف في أي مجال ، فالاختلاف المشروع النافع هو الناتج عن تفاوت العقول الناشيء من الفطـرة التـي فطـر الله الناس عليها ، وهذا هو الاختلاف الذي يبني ولا يهـدم ، ويجمـع ولا يُفرِّق ، ويُعمِّر ولا يُخرِّب ، ويصلح ولا يُفسد ، إذاً كان لا بد من التخصُّصات وتعدُّد القدرات والمهارات ، بل والفتوحـات كـلّ فـي تخصُّصه ، مع التوحُّد التام في مجال التوحيد ، وفي مجال الخُلـق ، مع المحافظة التامة على طهارة القلوب ، وحريَّة العقول ، والتيسير والانفتاح على الناس جميعاً ، لتتحقَّق خيريَّة هذه الأمَّة ، إذاً كـون البعض من علماء الإسلام تخصَّصوا في بسط العقيـدة ، وآخـرون تخصَّصوا في بسط الفقه الإسلامي والممارسـة العمليَّـة للأعمـال الصالحة ، وأرقى علماء المسلمين الذين تخصَّصوا أو خصَّـهم الله بالاشتغال بالتربية وتزكية النفـوس بتحقيـق التوحيـد ، وتطبيـق الشريعة ، وحمل أبناء الأمَّة إلى الغاية وهي مكارم الأخلاق الناشئة من معرفة الله ، وتلاحظ يا ولدي ما هـي إلا مـدارس أو مراحـل تعليميَّة متداخلة ، وهذه الأمَّة المرحومة الناجية ينبغـي أن تكـون ثلاث طوائف : المعلِّمون بعلم الله ، والمتعلِّمون لعلم الله ، والمحبُّون للطائفتين لله ، ودون ذلك لا يزالون مختلفين مفرَّقين لدينهم ، أعاذنا الله منهم وجعلنا من الأمَّة المشار إليها بقوله تعـالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنبيـاء ، والمشـار إليهـا بقولـه : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون ، لاحظ يا ولدي ختام كلّ آية ، الأولى تشير إلى العقيدة ؛

لأنَّ العقيدة أن تكون العبادة لله وحده ، والثانية تشير إلى أنَّ عبادته لا تكون إلا بما أمر ، فلا يُعبد إلا هو ، ولا يُعبد إلا بما شرع ، فإذا صدق العبد في التوحيد والعبوديَّة لله ، التي أساسها سلامة القلب ، وإذا صدق في تطبيق الشريعة التي أساسها الرزق الحلال الطيِّب ـ أقول : إذا صدق المسلم قلباً وقالباً ـ جعله الله مرآة تعكس أنوار الحقّ ، وهي ما تُعرف بالخُلق العظيم ، إذاً العقيدة لتطهير القلب من الأغيار والأهواء ، والشريعة للمحافظة على هذه الطهارة وزيادتها في صورة هُدى وعلم .

السؤال الخامس عشر :

من هو الصوفي ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي هناك فرق بين صوفي ومتصوِّف ، فالصوفي هو الذي أقصده ، أما المتصوِّف فهو المُقلِّد للصوفي وليس بصوفي ، وهذا لا داعي للتحدُّث عنه ؛ لأنَّه ليس واقعاً وليس حقيقةً ، إنَّما هو وهْمٌ وهَمٌّ ؛ لأنَّ الصوفيَّة لا تُقلَّد بل تُذاق ، ومن ذاق عرف ، والقدرة على التذوق لا تكون إلا من فراغ النفس من أغيارها ، أي ظلماتها ومن رؤية أنوارها ولا يتحقَّق ذلك إلا بنور الله ، ونور الله هو علم الله ، وعلم الله إبصار في العقل وإشراق في القلب واستقامة في الذات البشريَّة ، ونور الله هو الذي يُبدِّد الله به ظلمات الأغيار والأكدار والأوزار ، فيقوم الصوفي بجسد بلا أوزار مستقيم ، وقلب بلا أغيار سليم ، وبعقل بلا أكدار مبصر عليم ، فهو المسلم المؤمن المحسن ، وقد تسأل يا ولدي سؤالاً مطروحاً دائماً وهو : ألا يكفي أن يكون المسلم مسلماً وكفى ؟ لماذا هذا الاسم أو هذا الوصف " صوفي " ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي كلمة الصوفي أو اسم الصوفي أو وصف المسلم بأنَّه صوفي لا يعني إلغاء كونه مسلماً ، فكلنا مسلمون : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ

سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ... ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج ، بل يجب أن يتمسَّك المسلمون جميعاً بالاسم والوصف الذي يجمعهم ، وهو كونهم مسلمين ، وأنا (شخصيّاً) أنادي دائماً وأدعو مُخلصاً المسلمين أن يكونوا مسلمين قبل أن يُسمُّوا أنفسهم بالشيعة أو السنِّيَّة أو الصوفيَّة ، وإن كان ولابدَّ أن تكون الأمَّة متعدِّدة الطوائف للتعارف والتآلف ، لا للتنطُّع و التفرُّق، فطائفيَّة الإسلام هي طائفيَّة لخدمة العلم ونشره وإثرائه ، بمعنى أنَّه لابدَّ أن توجد في الأمَّة ثلاث طوائف متداخلة متعارفة متآلفة ، لا تستغني طائفة عن الأخرى وهي : طائفة المعلِّمين بعلم الله ، والمتعلِّمين لعلم الله ، والمحبِّين للطائفتين في الله ، أمَّا دون ذلك فلا يزالون مختلفين ومفرِّقين لدينهم ، إذاً لماذا اسم صوفي أو وصف صوفي ؟ يا ولدي إذا رجعنا إلى الوراء فسوف نُدرك لماذا ظهر هذا الاسم وهذا الوصف لبعض المسلمين ؟ سنكتشف أنَّه لم يظهر نتيجة صراع بين الناس ، كما برزت طائفة الشيعة في مواجهة طائفة السُنَّة ، وانقسمت الأمَّة إلى طائفتين كبيرتين تتربَّص كلّ واحدة بالأخرى ، وتُقبِّح كلّ طائفة ما تنادي به الطائفة الأخرى ، ولكن نشأت الصوفيَّة كعنوان للصراع مع النفس ، أي اختصَّ بهذا الاسم وهذا الوصف قوم ظهروا في وقت اتَّسعت فيها أرض الإسلام ، وكثرت فيها الفتوحات ، واشتغل أغلب الناس بالدنيا واتَّبعت الشهوات والأهواء ، فبقي قوم على ما كان عليه الصحابة من زهد وإقبال على الآخرة خوفاً على أنفسهم من هذه الفتن التي غزت

العالم الإسلامي ، وكان طبيعيًّا أن يضاعفوا مجاهداتهم لأنفسهم ؛ لأنَّهم يعيشون في وسط غَلَب على أهله حبّ الدنيا ، وكان منهم من كان حريصاً على لبس الصوف مع الاشتغال بتصفية نفسه ، فلحقوا بالصفِّ الأوّل ، صفّ الصحابة حيث لم تكن هناك فتن ، ونُسبوا لأهل الصفَّة الفقراء ، وهكذا أُشيع تسميتهم بهذا الاسم ووصفهم بهذا الوصف ، فهم أهل التربية والتزكية ، وحدث بعد ذلك ما حدث من تسرُّب البدع والأوهام ، فظهرت في أوساطهم أو في أوساط تُنسب إليهم وهم منها براء براء براء ، ما ظهر من مخالفات لشريعة الله وهذا لا يطعن فيهم ؛ لأنَّ كثرة الحشرات الطائرة حول المصباح لا تطفئه ولا تحجب نوره ، وعلينا أن ننتفع بالجوهر ، والجوهر هو أنَّ المنهج الإسلامي الحقّ هو منهج الشيخ والمريد ، والمعلِّم والمتعلِّم ، ونور الله إن وُجد في مربٍّ فلا شكَّ في أنَّه يمتدُّ إلى التلميذ وإلى المريد ؛ لا بمجرد ألفاظ يسمعها التلميذ من المعلِّم والمربِّي ، وإنَّما هناك السرّ الإلهي الذي يربط الله به بين الشيخ الذي هو مرآة لنور النبي ﷺ وبين المُريد الذي يستقبل نور الله ، وهذه هو رسالة الأنبياء أصلاً ، والشيوخ الربانيِّين تبعاً لهم ، وهذه هي الصوفيَّة ، وإن كنت كما ذكرت لك يا ولدي أنَّ الأصل في ظهور طوائف حقّ في الأمَّة هو تفاوت المسلمين في العلم والمعرفة، فطائفة الصوفيَّة الحقَّة ليست طائفة تفريق أو خلاف أو تمزيق للأمَّة ، وإنَّما هي طائفة فارَّة إلى الله من فتن الطائفيَّة الضالَّة المشار إليها بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا

﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... ﴾ (١٥٩) الأنعام ، هي الطائفة التي تُحقق (بحقٍّ) طائفيَّة العلم التي أشرت إليها ، أمَّا أهل الزندقة والنفاق والبدع والخرافات والأوهام والمخالفات لعقيدة التوحيد ولشرع الله ؛ فهم لا ينتسبون للصوفيَّة كوعاء يحتفظ بمنهج النبي ﷺ في التعليم والتربية في عصر خرقت الطوائف الضالَّة هذا الوعاء ، ولا ينتسبون حتَّى للإسلام دين التطهير والتيسير والتحرير والتعارف والتآلف والتكاتف، والأمن والفرار إلى الله . يا ولدي دعنا من الاختلاف حول الأسماء والأوصاف ، ولنَجعل غايتنا معرفة الله ومكارم الأخلاق ، من خلال النقل والعقل والروح ، ووسيلتنا المعلِّم والمتعلِّم والمحبّ لهما ، وهذا هو منهج الإسلام الذي هو منهج الصوفي ، ولعلَّك يا ولدي أدْركت الظروف التي أبرزت هذا الاسم وهذا الوصف (صوفي) ، وفي الوقت نفسه تمَّ المحافظة على جوهر الإسلام وآدابه تحت هذا الاسم وهذا الوصف : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٤) ﴾ يونس .

السؤال السادس عشر :

هل في الدين ما يشير إلى السلوك الصوفي ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي هناك حديث نبوي شريف صحيح يشير إلى أوصاف الصوفيَّة ، بل وردت فيه كلمة أظنُّها تصلح مصدراً لهذا اللقب أو تشير إليه ، والحديث هو عن أبي مالك الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : [يا أيُّها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أنَّ لله ﷻ عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيُّون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ، فجثى رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ناس من الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ! انعتهم لنا ، جلِّهم لنا (يعني صفهم لنا) شكِّلهم لنا ، فسُرَّ وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي ، فقال رسول الله ﷺ : هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابُّوا في الله وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها ، فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً ، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون] رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد . وكلمة " تصافوا " قد تشير إلى الصوفيَّة من قريب أو بعيد ، وقد يقول السائل : إنَّ كلمة " صوفي " لا يصلح اشتقاقها

إلا من الصوف الذي كان يرتديه المنتسبون إلى الصوف أو إلى الصوفيَّة ، بمعنى أدقّ فما صلتهم إذاً بالكلمة الواردة في الحديث ؟ والردُّ على ذلك ستجده في المعلومة الثانية ، فهيَّا بنا إليها .

معلومة { ٢ } :

يا ولدي إن صحَّ لُغوياً أن تأخذ بالقول القائل إنَّ نسبتهم اشتقَّت من ثيابهم ولبسهم الصوف ، فهذا لا يعني أنَّ اللقب يتعلَّق بالخرقة فقط ، إنَّما الأمر أعمق من ذلك وبخاصة أنَّهم قوم مشتغلون بتربية النفس وتزكيتها بالمنهج الإلهي ومن خلال الصُحبة الصادقة للمربِّي والشيخ المقتدِّي في أفعاله وأقواله برسول الله ﷺ ، فمجاهدتهم كلّها تعني الوصول بالنفس إلى الصفاء الروحي ، وتزكيتها من الأكدار والأغيار والأوزار ، ولذلك وصفهم (نورُهم) ﷺ الذي يسجدون به فهو نور الساجدين : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ الشعراء ، ووصفهم (جوهرهم) ﷺ الذي يُوحِّدون به ربَّهم فهو جوهر الموحِّدين ﷺ وصفهم بقوله : { تحابُّوا وتصافوا } وكم من الكلمات الطيِّبة التي تحمل هذين الحرفين (الصاد والفاء) الواردين في كلمة تصافوا فهيَّا بنا إلى المعلومة الثالثة لتعرف ذلك .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي تدبَّر هذه الكلمات التي تحظى بهذين الحرفين (الصاد والفاء) والكلمات هي : (الصفّ والصفوة وأهل الصُفَّة والصفاء والصفة والصفات والصِفر) وغيرها ، كلّها تحمل معاني طيِّبة قامت بها ذوات الصوفيَّة التوابين المتطهرين ، فهم الصفوة في الأمَّة وفي

كلّ عصر ، وهم الصفّ الأوّل إقتداء بالسابقين المقرَّبين من صحابته هو ﷺ ورضي الله تعالى عنهم في كلِّ زمان ومكان ، وهم الذين امتدَّت أو تمتدُّ جذورهم إلى قوم قال الله لنبيِّه ﷺ في كتابه العزيز بشأنهم : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف، وهم أيضاً المفلحون بإذن الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ الأعلى ، وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ الشمس ، والتزكية على يدٍ مربٍّ بالمنهج الإلهي صفاء وصفات تتجلّى في ذات الإنسان وذلك نتيجة لرحمة الله وكرمه وفضله على عبده ، ولتوجهه الصادق الخالص ساجداً متقرّباً لله : ﴿ ... وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ العلق .

السؤال السابع عشر :

قد يسأل سائل فيقول : هل ما ذكرته في وصف وتمجيد للصوفيَّة يتَّفق مع ما ظهر في أوساط كثير منهم من انحلال وحلول وزندقة وبدع وخرافات وجهل ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

أقول ردّاً على هذا السؤال : إنَّ الباطل لا ينبغي أن يُتَّخذ حجَّة لإزهاق الحقّ ، بل يجب أن نُجلِّي الحقّ ونظهره لنُزهق به الباطل ، فكم من الحشرات الطائرة التي تتجمَّع حول المصباح المضيء وهي أضعف وأعجز من أن تطفئه باندفاعها نحوه ! فهل من شرف العلم أن نشتغل بالتحدّث عن الحشرات متعامين عن المصباح غير منتفعين بنوره ؟! ثم لماذا نتَّهم من لم نسمعه أو نلتقي به أو حتَّى لو فُرض سمعناه هل فتَّشنا عن قلبه ؟ وهل تحقَّقنا من نيَّته ؟ وهل أحطنا علماً أو فهماً بعباراته ؟ وهل يجوز لنا أن نحكم قبل أن نتبيَّن ونتحقَّق ونتثبَّت ونفهم ؟ أليس هناك المُحكم والمتشابه ؟ وهناك أيضا حُسْن الظنّ والتأويل ؟ بل يرنُّ في آذاننا من وقت لآخر قول الله تعالى : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف ، إذاً بدايةً لا ينبغي أن نتَّهم أحداً قبل أن نتحقَّق ونتبيَّن ، كلّ ما يتعلَّق بشئون مشايخنا الذين سبقونا إلى الآخرة ، أمَّا ما يحدث في أوساط بعض من ينسبون أنفسهم إلى الصوفيَّة من مخالفات وخرافات ، فالواجب على كلّ مسلم أن يدافع عن المنهج الصوفي ضدّ هؤلاء الجهلاء

الضالين لا أن يهاجم المنهج الصوفي ، والواجب عليه أن يدفع الحشرات عن المصباح ، لا أن يسعى لتحطيم المصباح ، وبخاصة أنَّ في كلٍّ عصر ينتسب للصوفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أمثال فضيلة الدكتور الإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر (١٣٢٨هـ / ١٣٩٨هـ ـ ١٩١٠م / ١٩٧٨م) وفضيلة الشيخ صالح الجعفري (١٣٢٨ هـ / ١٣٩٩ هـ ـ ١٩١٠ م / ١٩٧٩م) وفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي (١٣٢٩ هـ / ١٤١٩ هـ ـ ١٩١١ م / ١٩٩٨ م) وفضيلة الشيخ محمد زكي إبراهيم (١٣٢٤هـ / ١٤١٩ هـ ـ ١٩٠٦ م / ١٩٩٨ م) ، رحمهم الله وغيرهم في عصرنا ، وممَّن سبقونا في عصور سابقة ، ولكن قد تسألني يا ولدي سؤالاً هو : ولماذا نخصِّص طائفة معيَّنة بهذا الاسم أو بهذا اللقب ؟ ألسنا كلّنا مسلمين ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي نعم كلّنا مسلمون ولكن قد تتميَّز طائفة عن طائفة بصفة ، كما سُميّ المسلمون الذين تركوا مكة إلى المدينة بالمهاجرين ، وكما سُميّ أهل المدينة بالأنصار ، وكما سُميّ جيل ما بعد جيل الصحابة بالتابعين ، والجيل الذي بعدهم بتابعي التابعين ، وهكذا قد تتميَّز طائفة بوصف خصَّها الله به فيطلقه عليها الناس ، وهذا ما حدث بالنسبة للصوفيَّة ، فهم قوم خالفوا بقيَّة المسلمين بتشبُّثهم بما كان عليه الصحابة من زهد وتقشُّف وإعراض عن الدنيا في عصور

تَلَت عصر الصحابة ، فيها اتَّسعت الدولة الإسلاميَّة وأقبل كثير من الناس على الدنيا ، وحدث ما حدث من فتن ، في وسط هذه الظروف التزم قوم بالزهد والاشتغال بقهر النفس وتزكيتها حتَّى لا تسقط فيما سقط فيه الآخرون من إقبال على الدنيا بطرق غير مشروعة ، فهذا اللقب لم يكن إلا مجرَّد تعريف لهذه الطائفة النقيَّة التقيَّة التي كانت قائمة أو مشرقة بالكتاب والسنَّة ، ولا زال الصادقون من هذه الطائفة هم مصابيح لنور الإسلام بصرف النظر عن الحشرات ، حشرات البدع والخرافات التي هي أشبه بالحشرات تندفع بدون وعي نحو المصباح ، وهيهات هيهات أن تطفيء نوره ، ولا تنس يا ولدي أنَّ الناس هم الذين أطلقوا هذا الاسم أو هذا الوصف على القوم أهل الصفاء والنقاء ، ثم إنَّ هذه الطائفة تتميَّز بصفات هي جوهر الإسلام فهي :-

أوَّلاً : ليست طائفة منافسة لطائفة أخرى ، أي أنَّها ليست طائفة تمزيق لهذه الأمَّة كغيرها .

ثانياً : هي محتفظة بالطريقة الحقيقيَّة للتربية والتزكية ، طريقة المعلِّم والمتعلِّم ، والمُربِّي والتلميذ ، والشيخ والمُريد وهذه الطريقة هي جوهر الإسلام .

ثالثاً : هي طائفة العقل المبصر ، والقلب المشرق ، فلا جدال إلا بالحقِّ ، ولا تعاون إلا للجمع ، فهي التي منها المعلِّم بعلم الله ، والمتعلِّم لعلم الله ، والمحبّ للمعلِّم والمتعلِّم لله ، فهي الطائفة المرحومة المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ

عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ يونس ، أقول ذلك بصرف النظر عن حشرات البدع والخرافات ؛ لأنَّه لا ينبغي أن تحتجَّ بالباطل لتزهق به الحقّ .

رابعاً : هي الطائفة الباقية في حياتها وبعد مماتها إلى يوم القيامة ظاهرة بنور الله ؛ لأنَّها طائفة المعلِّم والمتعلِّم والمُحبّ ، والتربية والتزكية والفرار إلى الله .

السؤال الثامن عشر :

هل فساد الأمَّة من فساد الفرد ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي البنيان القوي المتين قوَّته من قوَّة اللبنة ، ومتانة الصلة بين لبناته الممتدَّة في عمق الأرض والشامخة فوق ظهرها ، كذلك المجتمع الصالح صلاحه من صلاح الفرد ، وسلامة الصلة بين أفراده ومن جذوره الممتدَّة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وفساد الفرد إمَّا من اللقمة أو من النطفة أو من المضغة ، فأمَّا الذي ينشأ من نطفة وُضعت في غير حِلِّها فهو زنيم ، والزنيم موقفه من الحقِّ موقف عدائي ، وأمَّا الذي ينبت لحمه من اللقمة الحرام فالنار أولى به ، فكيف يألف أصحاب الجنَّة ؟! والذي فسدت مُضغته ــ أي قلبه ــ بالأمراض : مثل الحسد والبغضاء حالقة الدين لا حالقة الشعر ، أو مثل الكِبْر وراثة عن إبليس الذي أبى واستكبر وكان من الكافرين ، فمثل هذا وذاك مُفَرِّق للأمَّة مُمَزِّق للوَحدة ، والجميع مُتَّبِعون خطوات الشيطان الذي هو عدوّ الله وعدوّنا ، وما من أحد عارض الحقّ بخبث وحاربه بمكر إلا وعلَّة ذلك ما ذكرت :

﴿ ... قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ... ﴿١١٨﴾ ﴾

آل عمران ، وإذا سلم قلب المسلم بعقيدة التوحيد ، واستقام جسده بشريعة الله ، تحرَّر العقل من أهواء القلب الزائفة ، ونجا من شهوات الجسد المنحرفة ، وكان لبنة سليمة ، والشهوات هي التي

تولّد الأغيار في النفس وبتطهيرها وتزكيتها يكون الإنسان لبنة قويّة متينة في بناء الأمّة المؤمنة المتماسكة ، ويا ولدي الأمّة الإسلاميّة أمّة اللبنـــة الصالحة ، وهذا هو سرّ قوّتها ، فكيف يتحقّــق ذلــك ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي أساس الصلاح في الإسلام صلاح الفرد ، وصلاح الفرد في صلاح قلبه ، وصلاح قلبه في صلاح لقمته وتحرُّر عقله ، إنّ بنـــاء المسلم السليم لا يتحقّق أبداً إلا إذا تحرَّر العقل من الهــوى ومــن الشهوة ، ولا يستقيم الهوى وتتهذّب الشـــهوة إلا باللقمـــة الحـــلال والرزق الطيّب ، ولا يكون ذلك إلا في مجالس الأولياء الصالحين ، إنّ الفرقة الناجية بنصّ القرآن هي فرقة الأولياء الصـــالحين التـــي يقول في شأنها ربُّ العالمين : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ يونس ، فالإسلام بما فيه من عقيدة وشريعة وأخلاق هــو المـــنهج والقدوة ، هو الشيخ المربّي والمرشد المعلّم الفار إلى الله ، إذاً بعقلٍ حرّ وقلبٍ سليم وقدوةٍ حسنة ومربٍّ ولي خبير مع منهج الله ورزق حلال طيّب يتزوّد به المواطن الصالح والمسلم المســتقيم ، فتنشـــأ الأمّة الصادقة الأمينة على دين الله .

السؤال التاسع عشر :

هل العدد (٨) وقد ورد في كتاب الله في عدة آيات يشير إلى شيء ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي يقول الله تعالى : ﴿ ... وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحاقة ، وهذه إشارة إلى أنَّ سلطان الله المرموز له بالعرش هو المهيمن على العبد والكون ، بمعنى أنَّ العبد مُحاط بثمان جهات هي : (أمام ـ خلف ـ يمين ـ شمال ـ فوق ـ تحت ـ ظاهر ـ باطن) فمن أين ينفذ فاراً مِن سلطان مَن وسع كرسيّه السماوات والأرض ؟ بل أين يضع العبد كرسي سلطان وهمه وهواه ؟ وهل يستطيع العبد أن يفرّ من قضاء الله وقدره ؟ إذاً ليس أمام العبد إلاّ أن يفرّ إلى الله ، القائل وقوله الحقّ : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ الذاريات ، وليس أمامه إلا الخضوع لسلطانه بالرضا ، في هذه الحالة يُدخله الله في رحمته الخاصة بالمتّقين ، وليحذّر الإنسان أن يتوهَّم أو يتصوَّر القدرة على الإفلات من سلطان القهر الإلهي ؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنعام ؛ لأنَّ العبد إذا تصوَّر ذلك عرَّض نفسه لسلطان العدل وحرمها من نفحات الرحمة ؛ لأنَّ نجاة العبد رحمة ، وتعرُّضه للبلاء والعذاب عدل ، وأرجع بك يا ولدي إلى الرقم (٨) ، فهيّا بنا إلى المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي للجنَّة ثمانية أبواب ، وفي مقابلها في الإنسان ثمانية أبواب أو نوافذ ظاهرة تصل القلب بعالم الشهادة ، وأعتقد أنَّ للقلب ثمانية

أبواب تصله باطناً بعالم الغيب ، وإذا صدق المسلم في تطهير ظاهره ، وإذا صدق المؤمن في تطهير باطنه ، فُتحت له أبواب الجنَّة الثمانية ، وأعضاء الوضوء هي المنافذ إلى عالم الشهادة وهي : (اليدان إلى الرسغين ، الفمُّ ، الأنف ، الوجه ، الذراعان إلى المرفقين ، الرأس ، الأذنان ، والرجلان إلى الكعبين) وهذه الأعضاء الثمانية أو المنافذ أو الفروج لا تطهر بمجرَّد غسلها بالماء ، وإنَّما طهارتها حتَّى يكون صاحبها من الغُرّ المحجَّلين يوم القيامة ، حيث تُشْرق هذه الأعضاء بنور الله ، أقول : إنَّما طهارتها لا تتحقَّق إلا بالتوبة أو بتجديدها عند غسل كلّ عضو ؛ لأنَّ كلّ عمل لا يؤمُّه القلب بنيَّته الصادقة في التوبة ، وبحضوره المُخلص أو الخالص لله يكون مردوداً بقدر الإعراض والغفلة ، ولا خير فيه ، وأواصل يا ولدي حديثي معك عن هذا الرقم (٨) ألم تسمع يا ولدي عن قوم عاد حين قال الله بشأنهم : ﴿ ... فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ... ۝٧ ﴾ الحاقَّة ، فثمانية أيام إشارة إلى أنَّ قهر السلطان الإلهي أحاط بهم إحاطة تامة من جميع الجهات مكاناً وزماناً وحالاً ، بل حين يشير الله إلى الأنعام في كتابه يقول : ﴿...وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ... ۝٦﴾ الزمر ، أي أنَّ النعمة المرموز إليها بالأنعام قد غمرت الخلق من جميع الجهات ، فأتت لهم من فوقهم ومن تحتهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ومن أمامهم ومن خلفهم ، ومن داخلهم ومن خارجهم .

السؤال العشرون :

كثيراً ما نسمعك تقول : إنَّ الخَلْق إشارة ، فما معنى ذلك ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي الخَلْق كلّ ما خلق الله ممَّا نبصره وما لا نبصره ، وكلّ شيء إشارة إلى حقيقة أو أكثر في مجال الوحدانيَّة ، أو في مجال الأخلاق أو فيهما معاً ، وما من شيء إلا ويشير إلى الله ويدلُّ عليه به بدون مثليَّة أو تشبيه ؛ لأنَّ الله تعالى : ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى ، فهو بذلك ينفي المِثل ، بل إنَّ من الدقَّة المطلقة قوله : ﴿ ... كَمِثْلِهِۦ ... ﴾ ولم يقل : ليس مثله شيء ، فحرف الكاف يعني أنَّ الله تعالى علواً كبيراً ، فهنا ليس نفي المثل فقط ، بل نفى مثل المثل ، فليس من الأشياء ما يشبه أو يماثل الله بالقطع ؛ لأنَّ الأشياء قائمة به وهو قائم بنفسه ، فالكون من العرش إلى الفرش ــ الأرض ــ وما دون ذلك ما هو إلا كخيال في مرآة الحقيقة ، والخيال لا يقوم قطعاً بنفسه بل لا وجود له في ذاته ، فمن أين يماثل الحقّ ؟ فالله الحقّ هو ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله : [كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كلّ شيء ، وخلق السماوات والأرض] من حديث عمران بن حصين في البخاري ، وإذا كانت الأشياء خيال ، فما هذا الذي نراه من حولنا وفي أنفسنا ؟ هيَّا بنا يا ولدي إلى المعلومة الثانية ، لعلَّ الله يدركنا برحمته فنعرف شيئاً .

معلومة {٣}:

يا ولدي هذه الأشياء من حولك هي خيال من حيث أنَّها ليست قائمة بذاتها ، وإليك مثالاً ولله المثل الأعلى ، تأمَّل يا ولدي أشعَّة الشمس في الأرض لا وجود لها في ذاتها ، وإنَّما هي مرتبطة بشـروق الشـمس ، بدليل أنَّه لو غابت الشمس لم يكن لهذه الأشعَّة وجود أصلاً ويكون الليل ، فالوجود الحقيقي لواجب الوجود الذي هو قائم بذاته ، وهو قـادر أن يريك ما يشير إلى وجوده وقدرته ورحمته ، فـإذا نظـرت مـثلاً إلـى السمـاء ، فهي في ذاتها لا وجود لها فهي خيال ، وإنَّما القادر أظهرها لك لتدلَّك عليه بأنَّـه الرافع ، وجعلها قبلة للدعاء كي ترفع كفيك نحوها خيالاً ، وإلى الله حقيقةً من حيث نيَّتك لا من حيث أنَّ الله له جهة ؛ لأنَّ الله منزَّه عن وصف المخلوقات المقيَّدة بمكان وزمان وحال ، وهكذا كلّ شيء تعاملك معه خيال وليس حقيقة ، فالشافي مثلاً هو الله ، وهو الغني عن الطبيب كي يشفيك ، ولكنَّك تذهب إلى الطبيـب ، إذاً تعاملـك مـع الطبيب تعامل صوري أنت مكلَّف به للأخذ بالأسباب ، مع إيمانك يقيناً أنَّ الشافي هـو الله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ الشعراء ، إذاً لا يعني ذهابك إلى الطبيب إلا مجرَّد تصرُّف صوري نحن مأمورون بـه ابـتلاءً لهبوطنا في الأرض بسبب معصية سيدنا آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ إذاً ذهاب المريض المؤمن إلى الطبيب لا لاستقبال الشفاء منه حقيقـة ، وإنَّما جعله الله فقط إشارة إلى أنَّ الشافي هو الله ، يا ولدي إنَّ الله هـو القادر أن يُظهر لك ما هو خيال رحمة بك ، ويُبطن ما هو حقيقة لعجـز فيك : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الحديد .

السؤال الواحد والعشرون :

ما معنى أنَّ الأمر إشارة ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي الأمر : كلّ ما طلب الله فعله . والنهي : كلّ ما طلب الله تركه . فما من خير إلا وقد أمرنا الله بفعله ، وما من شرٍّ إلا وقد نهانا عن فعله ، ونحن مطالبون بذلك في مجال العقل وفي مجال القلب وفي مجال الجسد ، وفيما بيننا وبين الله ، وفيما بيننا وبين أنفسنا ، وبيننا وبين غيرنا ، ونحن مطالبون بذلك في مجال المجتمع ، وكلّها أوامر ونواهٍ ، وما هي إلا إشارات ورموز إلى حقائق في العقيدة أو في الأخلاق ؛ لأنَّ كلّ شيء في هذا الدين القيِّم مُنْتهٍ بالمسلم الصادق السابق إلى معنى من معاني " لا إله إلا الله " أو نور من أنوارها ، أو سرّ من أسرارها ، وهي كلمة العقيدة ، وإلى " محمَّد رسول الله " ﷺ وهي الإشارة إلى الأخلاق ، فالكلمتان أو الجملتان هما البذرة وهما الثمرة وبينهما شجرة الأوامر والنواهي ، سواء أكانت بالفعل أم بالترك ، وما توفيقي إلا بالله ، وقد تسأل : ما الفرق بين الخَلْق والأمر ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {2} :

يا ولدي يقول الله : ﴿ ... أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف ، فالخالق هو الله والمدبِّر لخلقه بأمره هو الله ، إذاً الخلْق

والأمر لله وحده ، والوجود يقوم على مخلوق لله مُدَبَّر بأمره ، فما من مخلوق ناشيء إلا بإنشاء الله له ، وما من تدبير فيه إلا بإذن الله وأمره ، فالخلق مرآة القدرة ، والأمر مرآة الإرادة ، فالله خلق الخلق بقدرته وأمرهم بإرادته ، فعَّال لما يريد وهو على كلّ شيء قدير ، فالماء خلق ـ مثلاً ـ والتطهُّر به أمر ، واللسان خلق والصدق أمر ، ولا يستقيم الخلق إلا بتجلِّي أمر الله فيه ، ولا يستقيم الأمر إلا إذا كان من عند الله ، فالخلق مرتبط بالأمر والأمر مرتبط بالخلق ، وكلّ منهما يشير إلى حقيقة أو حقائق في التوحيد أو في الأخلاق ، فمهمَّة الخلق أو الأمر توضيح للتوحيد أو الخُلق ، والله أعلم .

السؤال الثاني والعشرون :

هل يمكن أن تُثبت لنا بأمثلة أنَّ الخلق إشارة وأنَّ الأمر إشارة ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي لمَّا كانت وحدانيَّة الله هي حقيقة الحقائق بل إنَّ كلّ الحقائق ما هي إلا إشارات إليها ، كان لا بدَّ أن أبدأ بها مع ذكر بعض الإشارات التي تشير إليها ، سواء أكان هذا في مجال الخلق أم في مجال الأمر ، والخلق والأمر لله وحده ، فالماء خلق ، والأمر أن تتطهر ، فما معنى ذلك ؟ ففي مجال كونه خلقاً هو إشارة في عالم الشهادة منظورة إلى وحدانيَّة الله ، فجميع الكائنات الحيَّة الماديَّة على وجه الأرض تُسقى بماء واحد ، وهو إشارة إلى أنَّ هذا الكون بمكوِّناته ما نُبصر وما لا نُبصر مُدبَّر بالمدبِّر الواحد ، الذي بيده ملكوت كلّ شيء وهو الله ، وليس معنى ذلك أنَّ الله سارٍ في الكائنات الحيَّة سريان الماء في العود أو في النبات أو في جسم الحيوان أو الإنسان ، فالله ليس كمثله شيء ، كما ذكرت في إجابة السؤال رقم (٢٠) وما الماء إلا مجرَّد إشارة إلى الوحدانيَّة ، ثم إنَّ الماء جعل الله منه كلّ شيء حيّ ، لقوله تعالى : ﴿ ... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء ، فكلّ الأجساد الكثيفة للكائنات الحيَّة جعل الله حياتها من الماء ، كذلك اللطائف وهي ما يُعبَّر عنها بالعقول والقلوب والأرواح ، جعل الله حياتها من الوحي والإلهام ، وتطبيق الوحي أو ما جاء به الوحي وبخاصة ذكر الله هو

وسيلة لإحياء اللطائف في الإنسان ، إحيـاء عقلـه بـالعلم وقلبـه بالصدق والإيمان ، وهذه هي الحياة العليا وهي الحيـاة الحقيقيَّـة المشار إليها بالماء الذي تحيا به الأجساد بإذن الله ، فكـون المـاء إشارة إلى الوحدانيَّة ، وكون الماء إشارة إلى الوحي كما ذكـرت ، فهل الماء إشارة إلى حقائق أخرى ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومـة الثانية ، فهيَّا بنا إليها .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي أتعرف معنى التوبة وما عاقبتها ؟ التوبة مـع الاسـتغفار يطهر بها القلب وتستقيم بها الأخلاق ، إذاً التوبة مـع الاسـتغفار وسيلة تطهير للباطن ، والإشارة إليها هي عملية تطْهيـر الظـاهر بالماء في صورة استنجاء ، وفي صورة وضـوء ، وفـي صـورة اغتسال ، ويتبع ذلك أيضاً طهارة الثوب فهذه إشارة لتلـك ، كـذلك كون الماء طهوراً عديم اللون والطعم والرائحة ، أي بدون أغيار أو أكدار يعني أنَّه إشارة إلى النيَّة الخالصة لله بدون أغيار أو أهواء أو أغراض ، فكون الماء طهوراً ــ وهذا شرط لصحة الطهارة من أجل عبادة الله ــ إشارة إلى ضرورة طهارة الباطن بالإخلاص والصـدق والتوحيد والعبوديَّة لله وحده ، فلا رياء ولا نفاق ولا شرك ولا شكَّ ولا عجز ، فكما أنَّ طهارة الجسد لا تصح إلا بالماء الطهور ، فكذلك طهارة الباطن الذي هو أساس قبول العبادة لا يتحقَّق إلا بخلوِّ القلب من الأغيار ، وأن يطهر القصد من أي غرض سوى ابتغاء مرضـاة الله ، لعلَّك يا ولدي أدركت معنى إشارة الماء إلى الوحدانيَّة باعتبار

أجساد الكائنات الحيَّة تُسقى بماء واحد ، وإشارته أيضاً إلى النــور المُنَزَّل الذي تحيا به البواطن باعتبار أنَّ الله جعل منه كلّ شيء حيّ في عالم الأجساد ، ولعلَّك أدركت أيضاً أنَّ الماء الطهور يُشير إلــى أنَّ العمل الصالح لا يُقبل إلا بطهارة الباطــن من الأغيار ، ولازلــت يا ولدي أغوص في الأعماق ففي الماء أسرار وأسرار لا يعلمها إلا الله ، فهيَّا بنا إلى المعلومة الثالثة .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي إنَّ الإسلام دين الاعتدال فلا تفريط ولا إفراط فهو الفضــيلة بين رذيلتين دائماً ، والماء وسُيُولته إشارة إلى الاعتدال وإلى الحالة الوسط بين كثافة الجسد وشفافيَّة الروح أو لطافة العقــل ، وخيــر الأمور أوسطها ، فالماء وسط بين جمودة الماء فــي صــورة ثلــج وغازيَّته في صورة بُخار ، وإذا كــان المـــــاء إشــارة إلــى عــزِّ الوحدانيَّة ، فإنَّ التراب إشارة إلى ذلِّ النفس ، ومن لم يســتطع أن يقوم بعزِّ الوحدانيَّة يرده الحقّ إلى ذُلِّ العبوديَّــة ــ ذلّ الــنفس ــ يشير إلى ذلك أمر الله بالتيمُّم عند العجز عن استعمال الماء لفقده أو لبُعده المرهق أو لمرض يعجز المسلم معه عن اســتعمال المــاء . كذلك سرّ آخر من خلق الله وهو الكهرباء ، وهو خلق غير مرئــيّ مباشرة ولكن ندركه من خلال نور المصــباح أو حركــة أي جهــاز كهربائيّ . إذاً المخلوق قد يكون مرئيّاً رؤية مباشرة كالماء ، وقــد يكون غير مرئيّ من حيث ذاته ؛ لأنَّه سرّ يُرى من خلال أجهــزة ، ولذلك يقول الله : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ

﴿٤٠﴾ الحاقَّة ، فمن المخلوقات ما نراها مباشرة بطريقة محسوسة كالماء ، ومنها ما نراها من خلال وسط كالكهرباء ، ومنها ما نشاهد آثارها دون معرفة حقيقتها كالروح ، المهمُّ أنَّ الكهرباء سرّ واحد وآثارها متعدِّدة ، ومن آثارها الضوء في المصباح والحركة في المحرك (الموتور) والحرارة في السخَّان وهكذا في جميع الأجهزة الكهربائيَّة ، وهذه إشارة إلى الوحدانيَّة ، والآثار الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته مع تنزيه الله عن المثليَّة وعن التشبيه كما في إجابة السؤال رقم (٢٠) فالله ليس كمثله شيء وليس موصوفاً باتصال أو انفصال ، كذلك الروح وهي سرّ من عالم الغيب، وهذا ما يميِّزها عن الكهرباء التي هي رغم خفائها من عالم الشهادة، فهذا الجسد الظاهر بمختلف أجهزته وحواسه وأعضائه ولحمه ودمه وعظمه وشحمه يُدبِّره الله بإذنه بسرٍّ واحد هو الروح، والروح سرّ من أمر ربي ولا يُدركه إلا الله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ... ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء ، إذاً هي إشارة أخرى تشير إلى وحدانيَّة الله ، ثم إنَّ الروح أيضاً إشارة إلى نور الوحي والإلهام والذكر ، وإلى حقيقة الدعوة التي جاء بها خاتم النبيِّين ﷺ ، فكما أنَّ الروح حين تفارق الجسد يهمد ويتعفَّن ، كذلك إعراض القلوب عن نور الله وتعلُّقها بالدنيا الفانية يجعلها ميِّتة ، فهي لا تسمع ولا تنطق ولا تبصر ولا تحسّ ولا تشعر : ﴿ ... صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة ، كذلك من مات بمفارقة الروح لجسده لا يرجع إلى الحياة الدنيويَّة : ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ

﴿١٨﴾ ﴾ البقرة ، كالذي تعطّلت حواسه فهو فاقد للإحساس وانقطعت صلته بالمحسوسات ، كذلك من مات قلبه نتيجة لإعراضه عن روح الوحي وروح الدعوة ، تعطّلت حواسه القلبيّة فهو فاقد للإحساس الحقيقيّ الذي هو المشار إليه ، وانقطعت صلته بالمحسوسات الباقية : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ... ﴿٩٦﴾ ﴾ النحل، وانقطعت صلته من حيثه هو بالملأ الأعلى فهو ميِّت من حيث قلبه ، وقد ورد في الأثر التحذير من مجالسة أهل الدنيا حتّى لا تتعرَّض قلوبنا للموت ، والدليل على أنّ الروح سبب حياة الجسد وأنّها إشارة إلى دعوة النبي ﷺ التي هي سبب حياة الإنسان الحقيقيّة ، قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال ، ولا زال الحديث حول الأمثلة التي تُثبت أنّ الأمر والخلق هما مجرّد إشارة إلى حقائق ، فهيّا بنا يا ولدي إلى معلومة رابعة .

معلومة { ٤ } :

يا ولدي حديثي معك عن الشمس كإشارة يطول ؛ لأنّ الشمس هي السراج الوهاج جعلها الله سبباً للضوء والطاقة ، والضوء جعله الله علّة النور ، والطاقة جعلها الله علّة الحركة ، إذاً النور والحركة هما قانون الكون ، ومنهج الوجود وعلامة الحياة والعلم اللذين يمثّلان الأمومة والأبوّة للإرادة والقدرة ، واللتين بهما تكون الحركة والإنتاج ، أي أنّ الكون يتحرّك في نور وحركته دليل حياته ، أي أنّ هذا الوجود يسير على هدى من خالقه الذي قدّر فهدى ، فحركة

الكون إشارة إلى إحياء المحيي لكلٍّ كائن حيّ ، ونور الكون إشارة إلى هداية الهادي لكلٍّ حركة في هذا الكون : ﴿ ... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران ، وشروق الشمس على الجميع بدون استثناء إشارة إلى هداية التبليغ الموجَّهة إلى الناس كافة ، وإلى رحمة الله العامَّة التي وسعت كلّ شيء ، فكما أنَّ أشعَّة الشمس لا يحجبها إلا حائل كثيف ، فكذلك هداية التبليغ ، وكذلك هداية التوفيق ، ورحمة الله لا يُنتَفع بها في حالة قسوة القلب ، ولذلك يقول الله : ﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزمر ، وفي آية أخرى يقول : ﴿ ... كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ... ﴿٤﴾ ﴾ المنافقون ، وفي آية ثالثة يقول الله : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الإسراء ، فكلّ ذلك إشارة إلى غلظة قلوبهم وكثافة أنفسهم التي تحول بينهم وبين الهدى والرحمة ، والشمس أيضاً إشارة إلى النبوَّة حيث أن النبي محمَّداً ﷺ هو السراج المنير كما وصفه ربّه بقوله : ﴿ ... وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الأحزاب ، فقد جعل الله نوره من ذاته أو في ذاته كنور الشمس ، فنور الشمس لا تستمدُّه من نجم آخر محسوس ، وإنَّما جعل الله نورها من ذاتها أو في ذاتها ، فهي ليست كالقمر مثلاً يستمدُّ نوره من الشمس ، وهي كذلك إشارة للنبوَّة باعتبارها سبباً للحياة في مجال الخَلْق ، فنور النبوَّة سبب للحياة الحقيقيَّة ، ثمَّ إنَّ الشمس من حيث ذاتها ونورها لا تغيب ولا تغرب ولا تختفي ، وإنَّما الذي يجعلنا نتصوَّر غروبها هو انحراف الجزء الذي نعيش فوقه من

الأرض عن مواجهتها نتيجة لدوران أرضنا حول نفسها ، وهذه إشارة واضحة إلى أنّ نور الله من خلال النبوّة لا يغيب أبداً ، إنّما الظلمة التي في حياة كثير من الناس حادثة نتيجة لانحراف ذواتهم وبواطنهم عن نور النبوّة ، وبُعْدَهم عن استقباله وقبوله ، ودورانهم حول أنفسهم بأهوائهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين ، ثمّ إنّ بُعد الشمس عن الأرض أو الأرض عن الشمس خاضع لدقّة متناهية ولو اختلّ هذا البُعد لأي سبب من الأسباب لمات أهل الأرض من الحرّ في حالة نقص هذا البُعد ، ومن البرد في حالة زيادته ، وهذه إشارة إلى أنّ العبد ينبغي أن يعرف قدر نفسه فلا يقترب غروراً فيحترق ولا يبتعد تكبُّراً فيهلك ، وبذلك تعطي الشمس لنا هذه الإشارة كيف يكون الأدب من الصغير مع الكبير ، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الصافات ، كما أنّ العطاء الإلهي الواصل لأرضنا من الشمس إنّما هو إشارة إلى الرحمة من الكبير إلى الصغير ، وعند شروق الشمس تكون ضعيفة وتقوى في وسط النهار ، كذلك تضعف أشعّتها في آخر النهار وقُبيل غروبها ، وهذه إشارة إلى أنّ الإنسان قويٌّ في شبابه ورجولته بين ضعفين ــ ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ــ وهو قبل ولادته كان في غيب وأشرق بولادته ، وعند موته يدخل في غروب عن الدنيا ، أو بمعنى أدقّ تنحرف ذاته البشرية بضعف أو بمرض أو بحادث أو بقتل أو بأي سبب ، فتفقد حياتها ونورها وتفنى في التراب ، أمّا ذوات الأنبياء بالتصريح ، وأجساد الأولياء تبعاً لهم

بالتلميح ، فلا ينطفيء نورها ولا يغيب ، فهي باقية قد حرَّم الله على الأرض أن تأكلها ؛ لأنَّها عاشت لا تنحرف عن النور فذوات الأنبياء معصومة ، وذوات الأولياء محفوظة ، وكلّ شيء بمشيئة الله ولحكمة يعلمها ، فقد يفنى جسد وليّ تكملة لولايته بعد موته والجميع : ﴿ ... أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران ، وإذا كان نور الله يتجلّى بحكمة ودقّة وقدر معلوم ومن خلال وسائط نورانيَّة كملائكة الوحي والإلهام والمدبِّرات ، حتّى لا يحدث صعق أو احتراق للمرسَل إليه ، فإنَّ الإشارة إلى هذه الحقيقة في أنَّ أشعَّة الشمس بأنواعها تنفذ إلى الأرض من خلال الغلاف الغازي اللطيف بطبقاته من أجل أن تصل إلينا نافعة لحياتنا بحكمة ودقَّة وقدر معلوم ، والشمس جعلها الله مصدراً للطاقة ويمكن اختزان طاقة الشمس لاستخدامها عند اللزوم ، وهذه إشارة إلى ما يختزنه الله في ذوات الأنبياء والأولياء من نور ، كي يُنتفع به في حياة الناس ، وفي حياتهم هم أنفسهم وبعد موتهم وفي آخرتهم ، ففي كلّ مجال هنا وهناك يُواجه العبد ما يجعله محتاجاً دائماً لمعونة الله ولنور الله والله يقول : ﴿ ... وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة ، وغير ذلك من الإشارات ، ولا زال يا ولدي الحديث مستمرّاً عن الأمثلة التي تدلُّ على أنَّ الكون كلّه بلحظاته وذرَّاته ما هو إلا إشارات إلى حقائق ، فالكون كلّه بما نبصر وما لا نبصر مدرسة ، فانظر فهي آيات لأولي الألباب ، فهيّا بنا إلى المعلومة الخامسة .

معلومة { ٥ } :

يا ولدي أحدّثك عن القمر كما حدّثتك عن الشمس ، فالقمر جسم مُظْلِم يستمدُّ نوره من الشمس ليمدَّ به أهل الأرض ليلاً فهو واسطة خير بين الشمس والأرض ، وهو بذلك إشارة إلى الولاية ، وإلى دور الأولياء والعلماء في تربية النفوس ، فالشمس إشارة إلى النبوَّة والقمر إشارة إلى الولاية ، والأرض إشارة إلى النفس ، ورسالة الولي هي نقل نور النبوَّة إلى النفوس البشريَّة ؛ لتبديد ظلمات أغيارها ، وتوجيه أهوائها وتهذيب شهواتها بعد أن انحرفت أو ابتعدت عن نور النبوَّة ، كما انحرفت الأرض عن نور الشمس فكان الليل ، وبدأ القمر هلالاً وانتهى هلالاً وهو بين البداية والنهاية يتطوَّر فيبلغ كمال استدارته بدراً ، وهذه إشارة إلى حياة الإنسان التي تنتهي بالموت ، وذاتيَّة النور في الشمس إشارة إلى عصمة الأنبياء الذين يستحيل عليهم الظلمة ، أمَّا الأولياء فهم غير معصومين ولكنَّهم محفوظون ببركة إتباعهم للأنبياء ، والمحفوظ : هو الذي يستطيع ـ بإذن الله ـ أن يُبدّد ظلمات النفوس القابلة للنور وراثة عن الأنبياء ، أو بمعنى أدقّ وأشمل وراثة عن خاتم النبيِّين ﷺ .

معلومة { ٦ } :

يا ولدي إنَّ الحديد لآية من آياتٍ تشير إلى معادن الناس ، فهناك الحديد الصلب ، الذي باحتكاكه بقطعة من (المغناطيس) يكتسب قدرة على جذب أنواع من المعادن حتَّى ولو انفصل عن

(المغناطيس) ، وهناك الحديد المطاوع الذي ما دام متصلاً (بالمغناطيس) يجذب ، ويفقد قدرته على الجذب بانفصاله عنه ، أمَّا الحديد الزهر فهو لا ينتفع باحتكاكه (بالمغناطيس) علاوةً على قبوله للكسر وعدم نقائه ، وعلى ضوء ما ذكرت يكون الحديد الصلب إشارة إلى المقربين السابقين ، الذين اكتسبت ذواتهم الأنوار من الذات المحمَّديَّة مباشرة ، أو من خلال ذوات سابقة مقرَّبة فورثت القدرة على جذب الخَلْق إلى الحقِّ ، فهم الواصلون أُولُو العزيمة والصلابة في الحقِّ من الرجال مثل الصدِّيق أبي بكر ﷺ ، الذي ثبَّته الله عند وفاة النبي ﷺ ولم يهتزّ ؛ لأنَّه مستغرق بنور النبي ﷺ رغم غيابه عن الدنيا ، أمَّا الحديد المطاوع فهو إشارة إلى السالكين الذين تستقبل ذواتهم الأنوار بالصحبة للصالحين وبقائهم في مصاحبتهم ، فهم لا يطيقون مفارقتهم بالموت حتَّى تكمل ذواتهم ميراثاً من هذا النور ، وهذا ما جعل الفاروق عمر بن الخطَّاب ﷺ يهتزُّ عند موت النبي ﷺ ، وثبت مِن خلال مَن هو أعلى منه حظّاً وميراثاً أمَّا الحديد الزهر فهو إشارة إلى أهل الأغيار والأكدار والأوزار المعرضين والغافلين ، الذين هم محرومون لكفرهم أو لنفاقهم أو لفسقهم ، ونور الله لا يُهدى لعاصٍ .

معلومة { ٧ } :

يا ولدي ما من شيء في الوجود إلا وهو إشارة إلى معرفة حقيقيَّة في التوحيد أو في الخُلُق ، حتَّى النار في الدنيا تحرق وتُطهِّر وتُنضج الطعام ، وهي بذلك تشير إلى أحوال من يدخلون النار ،

فالذين يدخلون النار أصناف ثلاثة : قوم مُعرضون عن الإيمان والتوحيد فهم وقودها . وقوم مؤمنون غير تائبين متنجِّسون بالمعصية محتاجون لتطهيرهم بدخولها . وقوم مؤمنون غير ناضجين بفعل الطاعة لتضييعهم لها محتاجون لتهيئتهم للنجاة بولوجها . وهكذا تفعل نار الدنيا : فالحطب مثلاً لها وقود ، وهي وسيلة التطهير لبعض المواد ، كما أنَّها وسيلة لإنضاج الطعام ليُستساغ ، ثمَّ إنَّها لكونها توفِّر الدفء لدفع البرد ، والأشياء تُعرف بأضدادها ، فهي بذلك إشارة إلى نار الآخرة ، التي فيها الحرارة والزمهرير ، فلا حرارتها تدفع زمهريرها ، ولا زمهريرها يحمي من حرارتها ، وأمَّا أصحاب الجنَّة الذين استغرقهم التوحيد والحبّ ، فلم تنجِّسهم معصية وطيَّبتهم الطاعة الخالصة لله : ﴿ ... وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر ، إذاً جميع أصول وفروع الخَلق والأوامر ما هي إلا إشارات لوحدانيَّة الله ولمكارم الأخلاق ، وفي عبارات قصيرة أسوق بعض الأمثلة ، ولا أستطيع أن أحيط بكلِّ الأمثلة أو الإشارات ؛ لأنَّ الوجود كلّه ما نبصره وما لا نبصره ، والأوامر كلّها ما نحيط بها وما لم نحط بها ، لا تجمعها مجموعة كُتب ، فما بالك بكتاب واحد ؟! ففي الإنسان البصر أي العين وهي إشارة إلى العقل ، فالتمييز في العقل مشار إليه بالتعيين في العين ، بل إنَّ العينين في الرأس ـ موطن المخ ـ يعني أنَّ كلّ شيء مرئي له ظاهر يُدرَك بعين ، وله باطن يُدرَك بعين أخرى ، فهناك عين الشريعة ندرك بها الأسباب ، وعين الحقيقة

نؤمن بها أنَّ الأسباب بيد خالق الأسباب ، فنأخذ بالأسباب وتوكلنا على خالقها ، وثقتنا في مدبِّرها ، فنذهب إلى الطبيب والشافي هو الله ، وبذلك نجمع بين الحقيقة والشريعة ، والمصباح إشارة إلى القلب ، والشمس إشارة إلى النبوَّة ، والقمر إشارة إلى الولاية ، والأرض إشارة إلى النفس ، وصورة آدم إشارة إلى اسم محمَّد ﷺ ، والمرآة إشارة إلى صفاء القلب ، والجسم الكثيف إشارة إلى القلب المعتم لكثافته أو قسوته ، والمصباح الكهربائي الذي فسد إشارة إلى صاحب القلب المريض أو الميِّت الذي لا ينتفع بالصالحين أو صحبتهم ، ودرجات الإضاءة في المصابيح إشارة إلى درجات القلوب في ميراثها من النور ، والنظارة للعين إشارة إلى القلب للعقل ، وكلّ عين ترى الأشياء بلون نظَّارتها ، والنخلة إشارة إلى المُؤمن في ثباته واستقامته واتجاهه إلى السماء بقلبه وحلمه ، حين يرجم الصغار النخلة بالأحجار فتعطيهم من الثمار ، أمَّا عن الإشارات في مجال الأمر ، فهيَّا بنا إلى المعلومة الثامنة .

معلومة { ٨ } :

يا ولدي مجال الأوامر أيضاً مجال واسع ، والإشارات فيه لا تُعدّ ولا تُحصى ، فالمضمضة إشارة إلى التوبة من الكلمة الخبيثة واللقمة الحرام ، والاستنشاق إشارة إلى التوبة من الكِبر ، وغسل الوجه إشارة إلى التوبة من العبوس والنظرة الحرام ، وغسل اليدين إلى المرفقين إشارة إلى التوبة من استعمالهما في ما حرَّم الله ، ومسح الرأس إشارة إلى طهارة الفكر وضبط ساعة الحياة وهي

العقل ، ومسح الأذنين إشارة إلى طهارة السمع ، وغسل الـرجلين إشارة إلى التوبة من خطوات الشيطان ، والقيام في الصلاة إشـارة إلى الإسلام وإلى الشريعة ، والركوع إشارة إلى الإيمان والطريقة ، والسجود إشارة إلى الإحسان والحقيقـة ، والقعـود إشـارة إلـى الوصول واليقين ، ووضع الجبهة على الأرض إشارة إلـى سـجود العقل ، أمَّا الأنف ووضعها على الأرض فإشارة إلى سجود النفس ، والسجود بالكلِّ إشارة إلى الرجوع بالجسد إلى أصـله ، والتسـبيح بالأعلى إشارة إلى الرجوع بالروح إلى المـلأ الأعلـى موطنهـا ، وسيظـلُّ السؤال الثانـي والعشرون قائماً يحتاج إلـى مزيـد مـن الإجابة ، وسأظلُّ بإذن الله وتوفيقه أكتب ما يَمُنُّ الله به علـيَّ فـي مكانه .

السؤال الثالث والعشرون:

لماذا يختلف الناس ؟

الإجابة :

معلومة {1}:

يا ولدي الإنسان فيه العقل وفيه النفس ، فهو مزدوج فيه ما يشدّه إلى أعلى وفيه ما يهبط به إلى أسفل ، والخلاف في هذين المجالين إمَّا خلاف عقلي ناتج عن التفاوت في العلم ، وإمَّا أن يكون خلافاً نفسيّاً ناتجاً عن التفاوت في الجهل ، والخلاف العقلي مع سلامة القلب يبني ، بينما الخلاف النفسي هدَّام ؛ لأنَّه نابع من فساد القلب ثمَّ إنَّ الخلاف دليل على غياب الحقيقة أو غياب الناس عنها بقدر بعدهم ، وإذا غابت الحقيقة أو بمعنى أدقّ وأصحّ إذا غاب الناس عنها لأي سبب اختلفوا حولها عقليّاً إذا سلمت النيَّة وطهُر القصد ، أما إذا ساءت النيَّة وتلوث القصد كان الخلاف نفسيّاً ، أمَّا أهل النور والرحمة فقد أشار الله إليهم مستثنياً لهم من أهل الخلاف والاختلاف في قوله تعالى : ﴿... وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ... ﴿١١٩﴾﴾ هود ، فهم بفراسة المؤمن ينظرون بنور الله مدركين الحقيقة كما هي فلا اختلاف بينهم ؛ لأنَّ العلم عندهم ناتج عن التسليم والتلقِّي والبيان من الله ، فهو علم التجلِّي بعد التخلِّي والتحلِّي ، أي بتخلِّيهم عن الأهواء والشهوات ــ أي أغيار القلب والقالب ــ وبتحلِّيهم بمكارم الأخلاق والأنوار ـ بتوفيق الله ـ صاروا مرايا العلم فيها خيال عن علم الله الذي لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ،

لا يجهلون ولا يعلمون إلا ما علَّمهم ربهم متحقِّقين بقول الله تعالى حاكياً عن الملائكة : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة ، وداعين الله بما علَّم نبيَّه ﷺ : ﴿ ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه ، وأشعر يا ولدي وكأنَّك تقول : هل من مزيد ؟ فهيًّا بنا إلى المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي المرآة لا شيء فيها ، وهي بشفافيتها وصفائها ونقائها تعكس الخيال عن الحقيقة مجرَّدة ، والحقيقة تبقى ثابتة لا تنتقل إلى المرآة بذاتها ، كما أنَّها لا تزيد بكذب ولا تنقص بخيانة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر ، لذلك كان النبي ﷺ هو الصادق الأمين الناقل عن الحقيقة بدون زيادة أو نقص ، أو تبديل أو تحريف، فهو الصادق الأمين ، وما فضَّله الله به عن جميع رسله هو أنَّه مرآة الحقيقة ، فهو الناقل عن الحقيقة مباشرة ، أمَّا غيره بجميع درجاتهم فناقلون مرآة عن مرآة غيباً في عالم الأنبياء وشهادة في عالم الأولياء ، ومن هنا فلا اختلاف ولا خلاف في هذا المجال النوراني الذي فيه العلم بالتجلِّي ، أي بالإلهام والخواطر الرحمانية المُحكمة بكتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ التي لا شكَّ فيها ، والبيان من الله العليم الخبير لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ القيامة ، فالقرآن أصل السنَّة والسنَّة أصل الحكمة ، إذاً اختلاف الناس نتيجة لغيابهم عن الحقيقة ؛ لأنَّ الحقيقة في حدِّ ذاتها لا تغيب أبداً ، إذْ كيف تكون حقيقة وتغيب ؟! فهي كالشمس غيابها أو

عدم رؤيتها لم يكن لغروبها هي وإنَّما لانحراف الأرض التــي ترمــز للنفس البشريَّة عنها بدورانها حول نفسها ، فالليل بظلمته هو نتيجة غياب الأرض بجزئها المنحرف، عن مواجهة النور واستقبال الشمس لا عــن غيــاب الشمــس الحاضرة في ذاتها ــ بأمر الله ــ التــي لا تغيب ، والجارية بتقدير العزيز العليم ، ملخَّص القول أنَّ الفكر أو الأفكار أو التفكير أو ما يسمَّى علماً تابعاً لذلك ما هو إلا بُعد مشروع عن الحقيقة ومن خلاله نتعامل معها ، أمَّا الأغيار النفسيَّة والأهــواء الشيطانيَّة فهي بُعد غير مشروع وغير مقبول عن الحقيقة ، والبُعــد المشروع مجال الاختلاف العقلي أو العلمي وهو المُباح أو المطلــوب شرعاً مع سلامة القلب ، ولا ينقلب اختلافاً نفسيّاً هدَّاماً ، والبُعد غير المشروع هو مجال الاختلاف النفسي الجاهلي الــذي يهــدم ويُفــرِّق ويُشتِّت ويُشعل الفتن ويُوغر الصدر ويُضيِّع الحقيقة ، أو بمعنى أدقّ وأوضح يضع الناس بعيداً عن الحقيقة حتَّى يُغيِّبوا عنها زائغين في تيه سحيق ، أمَّا الذين ينظرون بنور الله ــ نور الســماوات والأرض ــ الذي الواحد منهم مثل لنوره بعقله وقلبه ومشكاته ــ أي جســده ــ وما هي إلا إشارات ، والله منزَّه عــن الشــبيه والمثيــل والشــريك والنظير ، القائم بنفسه والقائم به كلّ شيء ، وكلّ شيء لا وجود له في ذاته فلا اختلاف بين الأولياء الــذين لا خــوف علــيهم ولا هــم يحزنون ، فهم العلماء العاملون العارفون ؛ لأنَّهم في عين الحقيقــــة ومن ذاق عرف .

السؤال الرابع والعشرون :

ما هي العقول المعطَّلة ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي إن شئت فقل إذا تعطَّلت العقول عميت القلوب أو إذا قست القلوب عميت العقول ، وتعطُّل العقل يعني أنَّه لا يفكر أو أنَّه يفكِّر بفكر غيره دون نظر ، ومن هذا نشأت الفِرق والشيع ، وظهرت البدع والخرافات ، وعاش بعض الناس في وهم ، وعاش بعضهم في رسم ، والناس بين الوهم والرسم تعطَّلت عقولهم وزاغت قلوبهم ، وتعطُّل العقل إمَّا بشيخ مدَّعٍ يُربِّي بالشهوة ويعلِّم بالهوى لا بالعقل ولا بالنقل ، وهو حريص على إحاطة أتباعه بنسيج من الوهم مع اتباع أسلوب التعتيم ، مع أن المطلوب من الشيخ المربِّي المعلِّم الخبير أن يُربِّي تلاميذه بالأسوة الحسنة القائمة بالمنهج الإلهي على صراط مستقيم ، وفي ضوء قول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ النور ، ومثل هذا المربِّي المعلِّم العاقل الناقل الوارث عن رسول الله ﷺ لا ينسج نسيج الوهم ، ولا يتظاهر بثوب الرسم بل زاده ولباسه التقوى : ﴿ ... وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ الأعراف ، وزاد التقوى هو خير زاد ، وإذا كانت العقول مهدَّدة ومعطَّلة بكلّ شيخ مُدَّعٍ وموجِّه بالوهم ، فإنَّ هناك تهديداً آخر للعقول سوف تعرفه في المعلومة الثانية فهيَّا بنا .

معلومة {٣} :

يا ولدي لعلّك شغوف لمعرفة التهديد الثاني للعقول بعد الشيخ المدَّعي ، إنّه كلّ جماعة متعصّبة متنطّعة بدون وعي ومتشدِّدة بدون حكمة ، وزائفة بدون أسوة ، تجعل العقل يفكر وهو سجين الهوى وحبيس الشهوة فاقدٌ لفطرته في الحرِّيَّة أو لا يُفكر ؛ لأنَّها جماعة قائمة بدون مُربٍّ وبالتالي بدون إمامٍ مبين ، وبالتالي بدون قبلة حُجبت بالسطور عن علم الصدور ، والعلم كلّه هو القرآن : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت ، وغفلت أو تغافلت وجهلت أو تجاهلت هذه الحقيقة وهي أنَّ القرآن في الصدور حقيقة ، وفي الأجساد شريعة ، وفي العقول علماً نافعاً ، وما في السطور إلا اللفظ الذي ضمن الله حفظه ؛ لأنَّه في متناول أيدي البشر ، وبحفظ الله له عجز الجاهلون والحاسدون أن تمتدَّ أيديهم إليه بزيادة حرف أو إنقاص حرف أو تغيير حرف ، ولو كانت قلوبهم تفقه أو تعقل قول الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء ، فجعل الله قلب النبي ﷺ كنزاً ومصدراً للمدد القرآني، وهكذا كلّ علم موروث عنه يمتدُّ من قلب إلى قلب وموروث صدراً عن صدر ، وفي كلتا الحالتين ـ أي في حالة تعطُّل العقل بشيخٍ مدَّعٍ أو بفكر جماعة متنطِّعة ـ يفقد العقل حرِّيَّته وبالتالي يفقد الإنسان فطرته وكأنَّ المسلم فرَّط في عِرضه ، وهل بعد التفريط في العقل تفريط ؟! فإنَّ التفريط فيه تفريط في كلّ شيء حيث أنَّ المرء يُسلِّم بهذا التفريط لغير الله الحقّ ، والله أعلم .

السؤال الخامس والعشرون :

ما هو العلم النافع ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي العلم بالنسبة للعبد علمان : علم الشريعة / وهو علم الوصف ، يصف العبد ما هو مُكلَّف به وما هو منهيّ عنه . وعلم الحقيقة / هو علم الكشف تنكشف به الحقائق بنور الله الذي يقذفه في قلب المؤمن ويتحقّق به اليقين . وعلم الشريعة علم متعلِّق بالجسد للعمل به أي ينتج عنه العمل ، وعلم الحقيقة علم متعلِّق بالقلب للكشف به وينتج عنه الأدب ، العلم الأوّل علم مفروض وقد ورد أنَّ العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة . والعلم الثاني علم موروث يشير إليه قول الله تعالى : ﴿ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ... ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة ، وقول النبي ﷺ : [من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم] من حديث أنس بن مالك في حلية الأولياء ، وفي الحديث إشارة إلى علم الوصف في قوله ﷺ : [من عمل بما علم ...] وفيه إشارة إلى علم الكشف في قوله ﷺ : [... ورَّثه الله علم ما لم يعلم] وعلم الوصف يحتاج إلى واصف ، أي معلِّم ومرشد يعلِّمه بقوله وفعله ، يشير إلى ذلك قول النبي ﷺ : [صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي] من حديث مالك بن الحويرث في البخاري ، وعلم الكشف محتاج إلى واصل مربٍّ يشير إلى ذلك قول الله : ﴿ ... ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان ، وعلم الوصف يُؤْخذ

من السطور ، وعلم الكشف يُستمدُّ من الصدور والقلوب ، تـدبّـر يا ولدي قـول الله تعـالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء ، وقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت ، فهذا هو العلم المستمدُّ من القلب الإمام صدراً عن صـدر ، كيـف ذلك ؟ هذا ما يمكن معرفته ـ إن شاء الله ـ في المعلومة الثانية .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي كثيراً ما سمعتَ منّي أنَّ مُنتهى علم العبد أنّـه لا يعلـم إلا بـالله : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة ، إذاً العليم هو الله ؛ لأنَّ العلم علم الله يُجلّي منه في عبده مـا يشاء على قدرِ مرآته أي مرآة عبده ، ومرآته شفّافة نقيّـة صـافية بقدر تسليم عقله للعليم ، وسلامة قلبه للمـؤمن ، وطهـارة صـدره للودود ، واستقامة بشريّته للذي هو على كلِّ شيء قدير وهـو الله ، إذاً العلم المدد والعلم النافع لا يظهر عبثاً ، ولا مجرَّد ألفاظ أو حركات وإنّما يظهر في مرآة ، والمرآة أعني بها الإنسان الذي سـلم قلبـه بعقيدة التوحيد ، وطهرت ذاته بشريعة الله التـي جوهرهـا الـرزق الحلال الطيِّب فأصبح مرآة لا علم فيها من ذاتهـا ولا جهل ، وإنّمـا تعكس عن الحقِّ والحقيقـة علمـاً : ﴿ ... وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف ، وأمِّيَّة النبي ﷺ مرآة الحقيقة من أظهر معانيها عنـد أهـل التحقيق أنّه ﷺ من حيث قلبه أو بمعنى أشمل من حيث ذاته ، وذاتـه تشمل سرّ روحه ونور قلبه وعلم عقله وحركة ذاته وقول لسـانه ،

أقول : إنَّه من حيثه كلّه مرآة نقيَّة تقيَّة صافية طاهرة تعكس عن الحقيقة مباشرة ، فهي ناقلة عن الحقّ والحقيقة ، وبهذا تثبت إمامته للوجود كلّه ساجداً لربِّ العالمين متقلِّباً في الساجدين كما يقول الله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ (٢١٩) ﴾ الشعراء ، والوجود كلّه ساجد لله ؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ... ۩ (١٨) ﴾ الحج ، أمَّا بقيَّة المرايا فهي عاكسة خيالاً عن خيال ، ولله المثل الأعلى ، وكون العلم خيالاً في الإنسان يعني أنَّه ليس هو مصدره بل العلم من العليم ، تدبَّر يا ولدي قول الله : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ العلق ، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾ النحل ، وتدبَّر أيضاً قوله تعالى : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ يوسف ، فكلّ ذي علم فوقه عليم ، فالصالح ذو علم فوقه الشهيد عليم ، والشهيد ذو علم فوقه الصدِّيق عليم ، والصدّيق ذو علم فوقه النبي عليم ، والنبي ذو علم فوقه الرسول عليم ، والرسول ذو علم فوقه الرسول من أولي العزم عليم ، والرسول من أولي العزم ذو علم فوقه خاتم النبيِّين عليم ، وخاتم النبيِّين ذو علم وفوق الجميع الله هو العليم : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ... (٦١) ﴾ الأنعام ، وسع كلّ شيء رحمةً وعلماً ، وما ظهر في ذواتهم وصورهم الظاهرة العاملة قولاً وفعلاً إلا علم شريعة الله ، وما انقدح في بواطنهم

وأعماقهم التقيَّة النقيَّة كشفاً ونوراً إلا علم معرفته ، ومن ذاق عرف ومن عرف كشف ، وما ذكرته هو العلم الذي تعبد به الله ، وتعرف به الله وما تعرفه به ثمرة ما تعبده به : [من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم] من حديث أنس بن مالك في حلية الأولياء ، وأصله قوله تعالى : ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ... (٢٨٢) ﴾ البقرة ، فعلم الله لا يختلف عليه أحد وإذا حدث فعن جهل بهذا العلم ، فالذين استثناهم الله بقوله : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ... (١١٩) ﴾ هود ، هم الذين علَّمهم الله .

<u>السؤال السادس والعشرون :</u>

ما هي صفات الشيخ المربِّي ؟

<u>الإجابة :</u>

معلومة { ١ } :

يا ولدي الشيخ المربِّي داعٍ إلى الله ، والداعي إلى الله هو كأس امتلأ بنور الله ففاض ، وقد أُبتلينا بكأسين في عصرنا (أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الهجريَّين الموافقين لأواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين الميلاديَّين) :- <u>أحدهما</u> : فاض قبل امتلائه ففيه حقّ يراد به باطل ، بدليل فيضانه قبل الامتلاء ، وإذا فاض كأس قبل امتلائه فحدوث ذلك دليل على أنَّه مثقوب أو مشروخ أو مهزوز بهوى نفسٍ وسوس لها الشيطان فهو فائض بعسل العلم مخلوط بسمٍّ النفس ، ومن هنا تكبَّر الصغير ولم يوقِّر الكبير ، واختلط الحابل بالنابل . أمَّا <u>الكأس الثاني</u> : فهو كأس فاض بعد امتلائه بباطل فهو يسقي السموم في كأس العسل ، وبعد أن أدركت يا ولدي مَنْ الذي يُهدِّد وحدة هذه الأمَّة من داخلها ، هيَّا بنا لنعرف شيئاً عن الشيخ المربِّي في المعلومة الثانية .

معلومة { ٢ } :

يا ولدي رسالة الشيخ المربِّي الذي امتلأ بنور الله ففاض هي تحرير عقلك من نفسك وإلحاق نفسك بتطهيرها وتزكيتها بعقلك ، وإذا تحقَّق ذلك بمنهج الله وتوفيقه بدأ الترقِّي بالتربية والتعليم إلى أعلى

(فالتربية ينشأ عنها الأدب ، والتعليم ينشأ عنه العمل الصالح) وبهذا يرقى العبد في مدارج الصالحين حتَّى يتمتَّع بمعرفة الله ربّه في الدنيا ، وبالنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة ، ولولا المربِّي ما عرفت ربِّي شريعة ، ولولا ربِّي ما عرفت ربِّي حقيقة ، والمربِّي مرآة نقيَّة تعكس أخلاق الله ؛ لأنَّه داعٍ إلى الله ينشر الرحمة بالرحمة والعدل بالعدل والكرم بالكرم ، ويُفشي المودَّة بالمودَّة والسلام بالسلام ، وهو مُشرق بنور الله وراثة عن رسول الله ﷺ الذي أدَّبه ربّه فأحسن تأديبه ، وهيَّا بنا يا ولدي إلى المعلومة الثالثة لأواصل معك الحديث عن الشيخ المعلِّم المربِّي .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي مازلت أقول لك : إنَّ الشيخ المربِّي المعلِّم ذو بشريَّة مُشرقة بنور الله ليبدِّد الله به ظلمات الجهل والوهم والبدعة ، وذو إنسانيَّة مُشرقة بالحبِّ لتُبَدِّد ظلمات الحسد والبغضاء حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والمربِّي شجرة طيِّبة أصلها في قلبه عقيدة التوحيد ، وذاتها في جسده شريعة الله ، وثمارها في سرّه وجهره مكارم الأخلاق التي هي أنوار الأسماء الحسنى ؛ لأنَّ الشيخ المربِّي المعلِّم قدوة وأُسوة ، وهو شجرة ثابتة شامخة وفرعها في السماء من أراد ثمارها ارتقى ، ومن رجمها بالأحجار أعطته الثمار ؛ لأنَّ المربِّي مُحسن لمن أساء إليه يعطي من حرمه ويمدُّ من رجمه ويعفو عمَّن ظلمه ويصل من قطعه ، فهو أهل وصل لا فصل إلا بالحقِّ متخلِّقاً بقول الله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ ... ﴿٩٦﴾ ﴾ المؤمنون ، والمربِّي محفوظ محظوظ بعصمة خاتم النبيِّين ﷺ ، فلا يَضِلُّ ولا يُضَلُّ بوهم ، ولا يجمد عند رسم ، بل هو مُتجلَّى عليه بالحقيقة ومُظهرٌ للشريعة ، فهو ذو عينين ، عين الحقيقة في قلبه وعين الشريعة في بشريَّته ، والحقيقة والشريعة بحران بينهما برزخ العقل لا يبغيان ، فعقل المربِّي المعلِّم هو الحقُّ المُسلِّم لله الذي يُقدِّم الشريعة مصباحاً للحقيقة ، أو يُقدِّم الحقيقة نوراً من خلال الشريعة ، يا ولدي مازال شيخنا المربِّي المعلِّم يُشرِّفني أن أتحدَّث عنه ، فهيَّا بنا إلى المعلومة الرابعة .

معلومة {٤} :

يا ولدي اعلم أنَّ المربِّي كالنار والناس فيها معادن ، تحرق المحترق وتطهِّر المتطهِّر وينضج بها الطيِّب ويطيب : ﴿ ... سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر ، فالمربِّي طريقته باطنها الحقيقة وظاهرها الشريعة ، كالعُملة الواحدة ذات وجهين : وجه يُعطينا القيمة والوجه الآخر يُعطينا الشعار ، فقيمة المربِّي في قلبه، وشعاره في ذاته البشريَّة : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء ، وسلامة قلب المربِّي تتجلَّى في كونه كالشجرة الطيِّبة مَنْ أراد ثمارها بالحقِّ ارتقى والتقى ، ومن أرادها بالرجم لم يُبخَل عليه بها ، يا ولدي إنَّ المربِّي كالأرض يحمل الجميع ويطوي الجميع ويمدُّ الجميع بأقواتهم المقدَّرة لهم ، بل إنَّ الأرض تشير إلى كرمه حين توضع فيها حبَّة القمح فإذا بها تنبتها ـ بإذن الله ـ سبعمائة حبَّة وكلّه عطاء من الله ، واعلم يا ولدي أنَّ

المربِّي المعلِّم الداعي إلى الله ليس طرفاً في معركــة : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... (١٢٨) ﴾ آل عمران ، والمربِّــي لا يُكلَّــف إلا نفســه : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ... (٨٤) ﴾ النســاء ، والمربِّــي يهــدي بهدايــة الله لا بــــهواه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ... (٥٦) ﴾ القصص ، والمربِّي ليس بجبّــار : ﴿ ... وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ... (٤٥) ﴾ ق ، والمربِّي لا يتَّبع أسلوب الهيمنــــة وحــبّ الغلبــة : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) ﴾ الغاشية ، والمربِّي خبير يــدلُّك علــى الله : ﴿ ... الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) ﴾ الفرقان ، ولولا المربِّي ما عرفت ربِّي ، بمعنى أنَّ الله جعله مرآة تعكس للعبد ما يجذبه إلى ما يُرضي الله ويُحبِّبه فــي الله ويدلُّه عليه ؛ لأنَّ المربِّي المعلِّم الداعي إلى الله مرآة لعرض ديــن الله تلاوةً على الخلق بالصوت والصورة ، أي بــالقول وبالفعــل ، ولتزكية النفوس من خلال ذلك بالتربية ، ولتعليمها ــ إذا طهرت ــ الكتاب والحكمة ، وقد أشار الله إلى هــذه الرســالة ذات الجوانــب الثلاثة في قولــه : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) ﴾ الجمعة ، وقد تسأل يا ولدي : لماذا تنقسم الأمَّــة وبخاصَّــة في هذا العصــر رغــم أنَّ المساجد والجمعيــات والجمــاعات وشاشات (التلفزيون) قد ازدحمت بالدعاة والصرخات والآهات ؟ هذا ما ستعرف إجابته في المعلومة الخامسة .

معلومة {٥}:

يا ولدي إنَّ دعوة الله ليست مجرَّد ألفاظ تردِّدها الألسنة مع التلويح بالأيدي وتنوع النغمات ومع العناية بالمظهر والمنظر أوَّلاً ، إنَّما دعوة الله قرآن في القلب وآيات في صدور الذين أُوتُوا العلم ، فإذا أشرق القلب بنور الله ، ونور الله هو المُشار إليه بقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء ، وإذا انتشر هذا النور في الصدور آيات بيِّنات وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت ، وإذا أدرك الدعاة بيقين أنَّ القرآن هو النور وليس مجرَّد ألفاظ ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ التغابن ، إذا حدث ذلك عُلم بيقين أنَّ الدعوة لا تؤثِّر إلا بالأسوة الحسنة ، وتأمَّل يا ولدي أنَّ الله لم يأذن للنبي ﷺ أن يُبلِّغ دعوة الله بلسانه إلا بعد الأربعين عاماً ، ولقد كان ﷺ قدوة منذ ظهوره في عالم الشهادة قبل بعثته وبعد بعثته حتَّى لقي الله ، وسيظلُّ الأسوة الحسنة والرحمة للعالمين ، هذه هي الدعوة إلى الله ، فانقسام الأمَّة من أسبابه عنصر اليهود والمنافقين في كلِّ عصر ، وللإسلام أعداء متربِّصون به وبالمسلمين في كلِّ نَفَس ، يبثُّون الأفكار والمذاهب الهدَّامة ، ويتظاهرون بالإسلام وبخاصَّة اليهود ، وكذلك العملاء ضعفاء النفوس من أبناء هذه الأمَّة ، والجميع يستغلُّون أي خلاف فيُشْعِلون الفتن وينشرون الإشاعات ، ويؤوِّلون بغير الحقّ مع التطرُّف والتعصُّب والتنطُّع والجهل

والعِرقيَّة والعنصريَّة والقبليَّة وفقدان القدوة الحسنة ، وأسْر العقـل سجيناً للأهواء المتصارعة ، أمور كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى من وراء انقسام هذه الأمَّة ، وجوهر هذه الأمور حين تُصبح الدعوة إلـى الله مجرَّد خطب وتشنُّجات وخلوّ الداعي من المدد الإلهي ؛ لأنَّه حـافظ وليس محفوظاً ، ونعوذ بالله من خطباء اللسـان وعُبَّـاد الأهـواء والمُفتين بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير . إنَّ وحدة هذه الأمَّـة يا ولدي هي النور التالي لنور التوحيد ، حتَّى تكون هذه الأمَّة نوراً يُبدِّد ظلمات التَحف بها النـاس في أنحاء الأرض حتَّـى أصبحـوا لا يبصرون بعد أن فقد الكثير حريَّة عقله وطهارة قلبـه وسـلامة مطعمه من الحرام والخُبـث ، إنَّ هذه الأمَّـة لا يُشفـى لهـا داء ولا يُفرَّج لها كرب ولا يُردُّ لها اعتبار إلا إذا تخلَّت تماماً عن أسلوب الثرثرة في الدعوة إلى الله وإلا إذا أدركَت وطبَّقت ، إنَّ الدعوة إلى الله مدد إلهي يمدُّ الله به عبده بعد أن يتحرر عقلـه ويسـلم قلبـه وتتطهَّر بشريَّته وبخاصَّة بالرزق الطهور ـ أي الحـلال الطيِّـب ـ قبل المـاء الطهور ، وإلا إذا أدرك الجميع كلُّهم أنَّ طوائف الأمَّـة في الإسـلام معلِّمـون بعلـم الله ، ومتعلِّمـون لعلـم الله ، ومحبُّـون للطائفتيـن : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسـف، ﴿ ... وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسـراء ، هاتـان الآيتان أو الجزآن من آيتين تضعان حدّاً لهـذه الهلوسـة بادعـاء الدعوة إلى الله ، فالعلـم أوّلاً لا يُعتمـد إلا إذا كان مدداً مـن الله ، ولا ينفع إلا إذا كان صادراً عن صدق وإخلاص وطهارة قصد ، ثـمَّ

إنَّ العلم ميراث يتوارثه العلماء العاملون بجانبيه : علم النصِّ والكسب عن طريق الدراسة والتطبيق والبلاغ المبين ، مع توقير الصغير للكبير ، ورحمة الكبير بالصغير . وعلم المدد والإلهام والبصيرة عن طريق المِنَّة . فعلم الشريعة هو علم الوصف بالفعل والقول وبالصورة والصوت الذي يصف لنا كيف نعبد الله ، وعلم الحقيقة هو علم الكشف علم القلوب والأرواح النابع من مشكاة النبوَّة . وعلم الشريعة هو ظاهر علم الحقيقة ومصباحه ، وعلم الحقيقة هو باطن علم الشريعة ونوره ، والله أعلم .

السؤال السابع والعشرون:

ما الفرق بين الحقيقة والشريعة ؟

الإجابة :

معلومة {1}:

يا ولدي طريقة الله باطنها الحقيقة وظاهرها الشريعة ، إذاً الحقيقة باطن الشريعة ، والشريعة ظاهر الحقيقة ، وهذه هي طريقة الله التي كان عليها جميع النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، وإمامهم خاتم النبيِّين سيدنا محمَّد ﷺ ، والإيمان حقيقة والعمل الصالح شريعة ، إذاً عين الحقيقة في القلب , وعين الشريعة في الذات البشريَّة ، لذلك نلاحظ أنَّ الأعمال مقرونة بالإيمان في أكثر الآيات ، وبعين الحقيقة ترى الفعل الحقّ من الله ، وبعين الشريعة ترى وتأخذ السبب من الله ، كيف ذلك ؟ الفلاح في حقله يحرث الأرض ويزرعها مستخدماً الحركة والخبرة والمادة ، وهذا هو السبب الذي خلقه الله ، والأخذ به اتِّباع للشريعة التي هي مجال الأسباب الظاهرة التي شرعها الله ودلَّ عليها ، أمَّا الحقيقة فالذي فعل هو الله ، والذي زرع بقدرته هو الله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الواقعة ، فالذي صبَّ الماء هو الله ، والذي شقَّ الأرض هو الله : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ ﴾ عبس ، إذاً الحقيقة أنَّ الفعل من الله وحده ، والشريعة أنَّه شرع الأسباب فعلينا أن نأخذها منه أدباً ، لا نأخذ بها فقط ، بل الأسوأ أن نعتمد عليها لذاتها ونغفل

عن الله ، ولذلك يُبدأ كلّ عمل في الإسلام بذكر الله حين يقول المسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذا يعني أنَّ كلّ عمل يقوم به المسلم في زراعته أو صناعته أو تجارته أو وظيفته أو في ماله أو في عبادته أو في غير ذلك ، يجب أن يبدأه بذكر الله قاصداً الاستعانة بالله والتوكُّل عليه أوَّلاً . وأن يكون عمله هذا قاصداً به طاعة الله وأداء ما عليه من حقوق ، والقيام بما عليه من واجبات ، باعتباره يحمل أمانة الخلافة في الأرض ثانياً . فباسم الله يعمل عابداً لله متوكِّلاً عليه فارّاً إليه ، وهكذا في كلّ عمل مشروع الفعال هو الله ، والخالق للسبب والميسِّر له هو الله ، والفعل حقيقة ، والسبب شريعة ، والمتوكِّل على الله هو من يرى الفعل من الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة منه لا مستقلَّة عنه ؛ لأنَّ هذا مستحيل ، فكلُّ شيء في قبضته يقلِّبه كيف يشاء بين إيجاده وتطوره وحركاته وإعدامه ، فعَّال لما يريد ولا يريد بنا إلا الخير ، فهو المتوكِّل برؤيته بعين الحقيقة ، وهو عامل بعيني الشريعة والحقيقة ، وما خلق عيني الإنسان في مقدمة رأسه ــ محل مخِّه ــ إلا إشارة إلى عيني الحقيقة والشريعة .

معلومة {٣} :

يا ولدي اعلم أنَّ الحقيقة والشريعة بحران بينهما برزخ العقل لا يبغيان ، وهذا مقام توحيد لا يشهده إلا موحِّد ولا يكون إلا في مجال النور والخير ، وقد يسأل سائل : وماذا عن الفعل السيِّئ أو غير المشروع ؟ لأنَّ كلَّ عمل سيء غير مشروع ، وكلّ عمل حسن

مشروع يقع بين الوجوب والإباحة حسب حاجـة الإنسـان إليـه ، وحسب درجة نفع الإنسان به ، أقول : قد يسأل سائل عـن الفعـل السيّئ الذي مجاله هوى النفس الأمّارة بالسـوء ، وفلكـه شـهوة البشريّة المنحرفة عن الصراط المستقيم ، وكلٌ فيه شـرّ ، كالقتـل مثلاً بغير الحقّ ؟ هل الفعل لله حقيقةً والسبب هو القاتل بغير الحقّ شريعةً ؟ أم ماذا ؟ والإجابة على ذلك السؤال يحتاج إلى مِنّة من الله وتوفيق منه ، وما من شيء في الوجود إلا ويحتاج إلـى إرادة الله وتوفيقه وبخاصّة إذا كانت المسألة تتعلّـق بالعقيـدة ، أدع الله أن يوفقني حتّى أذكر إجابة تشفي ما في الصدور ؛ لأنّني أمام سؤال : هل الإنسان مُخَيَّر أم مُسَيَّر ؟ يا ولدي بدايةً نحن مؤمنون وموقنون بِعدة حقائق لا ريب فيها ، سأذكرها لك في المعلومة الثالثة فهيّا بنا .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي <u>الحقيقة الأولى</u> : أنّ الله متصف بالرحمة والعدل والحكمـة فهو الرحمن الرحيم والعدل الحكيم لا يظلم مثقـال ذرّة . <u>الحقيقـة الثانية</u> : أنّ الله ليس طرفاً مع طرف آخر ؛ لأنّه : [كـان الله ولـم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الـذكر كـلّ شيء ، وخلق السماوات والأرض] من حديث عمران بن حصين في البخاري ، وكلّ عمل يتعلّق بصاحبه فـي ضـوء : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ فُصلَت ، ولو أنّ كلّ ما في الوجود وآلاف مثلهم أو أكثر من ذلك كانوا على أفجر قلـب رجل واحد ما نقص من مُلكه ــ تعالى ــ شيء ، ولو كانوا علـى

أتقى قلب رجل واحد ما زاد في مُلكه شيء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ فاطر ، وهذه الآية تسوقنا إلى الحقيقة الثالثة : وهي أنَّ الله قادر على كلٍّ مخلوق وهو غني عنه . الحقيقة الرابعة : أنَّ العبد محاسب فيما هو مُخيَّر فيه وقادر عليه ومأمور بفعله أو بتركه ، أمَّا ما هو مضطر له أو مجبور عليه ولا خيار له فيه فلا حساب عليه وهذا هو العدل . الحقيقة الخامسة : أنَّ الله يمدُّ يده بالليل ليتوب مُسيء النهار ، ويمدُّ يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل ، ورحمته سبقت غضبه ، يتودَّد إلى عباده بنعمه رحمةً بهم وسعياً إليهم وهو الغني عنهم ، لا تضرُّه معاصيهم ولا تنفعه طاعاتهم . الحقيقة السادسة : أنَّ جوهر القبول في الأدب لا في مجرَّد الطاعة ، وجوهر عدم القبول في سوء الأدب ، فكم فعل إبليس من الطاعات وسوء أدبه وردّه كان سبباً في طرده من رحمة الله ، وماذا فعل آدم من الطاعات ؟ بل عصى ، وكان أدبه المتجلِّي في ذلَّته لله ولجوئه إليه سبباً في دخوله في رحمة الله ، هذا هو الجوهر ، وصدق من قال : رُبَّ معصية أورثت ذُلاً وانكساراً ، خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً . بعد هذه الحقائق وما خفي من الحقائق كان أعظم ، هيَّا بنا إلى المعلومة الرابعة لتعرف الإجابة على السؤال حول العمل السيِّئ مَن المسئول عنه ، هل يُنسب لله أم للعبد ؟ وما الحكم فيه ؟ هيَّا بنا .

معلومة {٤}:

يا ولدي في ضوء الحقائق المذكورة في المعلومة الثالثة أحبُّ أن أذكر لك حقيقة سابعة : لا غنى عن معرفتها وهي أنَّ العبد يَعترف أنَّه ظلوم جهول ، فمهما بلغ من العلم فهو الجهول الظلوم بل الفقير العاجز ، يسأل نفسه : ماذا يستفيد الله من تعذيبه ؟ ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ النساء ، الله الذي خلق هذا الكون عظيماً يكفي أن أقول لك : أنَّ هذا الكون بناء عظيم ، والذي يدلُّ على سعته وعظمته أنَّ الأرض لا تصلح أن تكون لبنة من لبناته ، ولكن اللبنة الواحدة فيه هي المجرَّة، وهل تدري يا ولدي ما هي المَجَرَّة ؟ إنَّها كائن تُجمع فيه آلاف النجوم والكواكب والأقمار ، وفي الكون ملايين المجرَّات هذا هو الكون الذي يمكن إدراكه بحواس الجسد وهو عالم المُلك ، فما بالك بعالم الروح عالم الملكوت ؟! الذي عالم المُلك بالنسبة له كذرَّة رمل في صحراء لا يعلم أطرافها إلا الله ، وما بالك بعالم الجبروت الذي لا يساوي عالما المُلك والملكوت رملة في صحراء بالنسبة له ؟! فما بالك بعالم الرحمة المحمَّدي المُشار إليه بمن أرسله ربُّه رحمة للعالمين ؟! ماذا يستفيد الخالق والآمر بإيجاد وتجلِّي هذه العوالم والذي يخلق ما لا نعلم ، والمُنزَّه عن المكان والزمان والحال ، أقول : ماذا يستفيد هذا الإله الأعظم من تعذيب عبد خُلِق من تراب الأرض التي لا تصلح أن تكون مجرَّد لبنة بسيطة من لبنات الكون المادي الذي نسمِّيه بعالم المُلك ، علاوة على ما فوق

هذا العالَم من عوالِم وعوالِم لا يعلمها إلا الله ؟ لعلَّك يا ولدي أدركت أنَّ المشكلة ليست مجرَّد طاعة أو معصية ، ولكنَّ المسألة تتعلَّق : هل هذا المخلوق الذي (لا شيء) ولم يكن شيئاً مذكوراً مؤدَّب أو غير مؤدَّب ؟ هل هو مُعتَرِف بعجزه وضعفه وفقره وجهله وظلمه أم هو مغرور بما مَنَّ الله به عليه من نعم ظاهرة وباطنة لا تُعدُّ ولا تُحصى ؟ فإن عرف نفسه واعترف بعبوديَّته وحرص أن تكون لله وحده عرف ربَّه ، حتَّى إذا عصى يسَّر الله له طريقة الرجوع إليه ، وأورثته المعصية ذُلاً وانكساراً وكانت خيراً له ، وحتَّى إذا أطاع جَنَّبه الله الغرور بالطاعة ، وإلا أهلكته ، فالعبد لله وحده ، ومعصيته تذكِّره بعجز نفسه ونقصها فلا يكفّ عن الذُلّ لله ، وطاعته تُذكِّره بفضل الله عليه ؛ لأنَّ القاعدة هي في قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ... ﴿٧٩﴾ ﴾ النساء ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنَّ القاتل مثلاً مُجرِمٌ بنيَّته عند الله لا بمجرَّد فعله ؛ لأنَّ القاتل قد يكون معتدياً ، وقد يكون مُدافعاً عن نفسه ، أو مجاهداً أعداء الله وهكذا ، فليس كلّ قاتل مُجرماً ، وليس كلّ مقتول مظلوماً ، إذاً العبرة بالنيَّة ، والرسول ﷺ يقول : [إنَّما الأعمال بالنيَّات ...] من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ، من هنا تُدرِك يا ولدي أنَّ تقييم الفعل يعتمد على نيَّتك ، فالمجرم مُجرم بنيَّته ، والبريء بريء بنيَّته ، فالنيَّة السيِّئة هي سبب الجريمة أو وقوعها ، ولولا النيَّة ما وقع الفعل ، ولو أنَّ فعلاً وقع بدون نيَّة أو بنيَّة حسنة أو بنيَّة سيئة لكانت

النتائج مختلفة وهذا هو العدل ؛ لأنَّ الله لا يظلم مثقال ذرَّة ، والنيَّة السيِّئة يأخذها صاحبها مـن هواه ، وهذه مسـألة دقيقـة جـداً ، والناس يختلفون حسب نيَّاتهم ، فقد يرتكب عدَّة أشـخاص أفعـالاً متشابهة أو فعلاً واحداً ولكن بنيَّاتهم المختلفة يختلف حسابهم بـين عقاب وثواب ، فلولا النيَّة ما وقع الفعل العمد ، والنيَّة هنـا سـبب غير مشروع قد أخذه القاتل مـن هواه ، وهذه مسألة دقيقة جداً كما قلت لك ، المهمّ يجب أن تكون على يقين أنَّ النار عـدل ، والجنَّـة فضل ، والعدل والفضل من رحمة الله ، فالرحمـة دائـرة محيطهـا العدل ، أمَّا المعلومة الخامسة فهيَّا بنا إلى حديث آخر عن الحقيقـة والشريعة .

معلومة {٥} :

يا ولدي في هذا العصر قد أبتلينا بأهل الوهم الذين هدموا الشـريعة أو عطَّلوا الشريعة باسم الحقيقة ، وبأهـل الرسـم الـذين أنكـروا الحقيقة باسم الشريعة ، وكلا الطرفين متطـرِّف ، أي بعيـد عـن الاعتدال الذي هو جوهر الدين الإسلامي ، ومـن تطـرَّف تعـرَّض للسقوط ؛ لأنَّه اقترب من الحرف فانحرف واقتـرب مـن الطـرف فتطرَّف ، والعاقل ذو عينين : فهو متحقِّق بعين ، ومتشرِّع بـالعين الأخرى ، فالحقيقة في قلبه والشريعة في بشريَّته ، والله بينه وبين كلِّ شيء وهو يتعامل مع كلِّ شيء ابتغاء مرضاة الله المحيط بكـلِّ شيء ، فهو مستحضر وجود الله وعظمته قبل أن يرى أي شيء أو يتعامل مع أي شيء وهذه هي الحقيقة ، ويجعل الشيء بينه وبـين

الله فيتعامل معه باعتباره سبباً جعله الله أو باباً فتحه الله ، فلا حول له ولا قوَّة في ذاته ، إنَّما هو نعمة وهبها الله لعبده ، ومن خلالها يستقبل عطاء الله ، ومن خلالها يرضى بقضاء الله ، فالله هو الشافي ، ولكنَّ العبد يذهب إلى الطبيب عسى الله أن يُجري إرادته بالشفاء على يد هذا الطبيب ، أو ذلك الطبيب الذي يشفي مجازاً لا حقيقة ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ الشعراء .

<u>السؤال الثامن والعشرون :</u>

ما هي أركان الإنسان المسلم ؟

<u>الإجابة :</u>

معلومة {١} :

يا ولدي كلّ شيء يقوم على أركان ، وفقده لأركانه أو بعضها فقدٌ لذاته ووجوده ، فالرغيف مثلاً أركانه : الدقيق والماء والنار والحركة الخبيرة ــ أي الخبّاز أو صانع الخبز ــ ولو نقص ركن من هذه الأركان لا يوجد الرغيف ، كذلك الكمال الإنسانيّ يقوم على أركان ثمانية هي : { ١- الجسد ، ٢- الروح ، ٣- الحياة ، ٤- الصورة ٥- العدد ، ٦- الأُخوّة ، ٧- القانون ، ٨- العقل } وإذا تأمّلنا الأنبياء الثمانية الذين التقى بهم خاتم النبيّين ــ عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ــ في السماوات السبع في ليلة الإسراء والمعراج نجد كلّ نبي منهم يمثل ركناً من هذه الأركان الثمانية ، فسيدنا آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقوم بركن الجسد ، وسيدنا عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقوم بركن الروح ، وسيدنا يحيى ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقوم بركن الحياة ، وسيدنا يوسف ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقوم بركن الصورة ، وسيدنا إدريس ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقوم بركن العدد ، وسيدنا هارون ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقوم بركن الأخوّة ، وسيدنا موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقوم بركن القانون والشريعة أي النظام الذي يحكم الجماعة ، وسيدنا إبراهيم ــ عليه الصلاة

والسلام ـ يقوم بركن العقل ، وهذه الأركان تتدرَّج إلى أعلى بهــذه الصورة فحين جسَّم الله الإنسان نفخ فيــه الــروح فكانــت الحيــاة وظهرت الصورة ، وكان واضحاً أنَّ هذه الــذات الإنســانيَّة قائمــة علــى عدد ، وبعدد أوّلــه الزوجيَّة : ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ ﴾ النبأ ، زوجيَّة في البداية بين التراب والماء عند خلق الجسد ، فهو مخلوق من طين ولا يكون الطين إلا بجمع التراب والماء ، وكذا الزوجيَّــة بين الجسد والروح ، ومن معاني قوله تعــالى : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾ التكوير ، أي عودة الروح إلى الجسد يوم البعث ، كمــا أنَّ وجود الإنسان كلّه قائم على عدد قطرات وذرَّات ولحظات وحركــات وأنفاس ونبضات ودرجات إلى غير ذلك ، ولمَّــا تعــدَّدت الــذوات وتكاثرت نشأت الأخوَّة ، والأخوَّة ضرورة ؛ لأنَّ كلّ إنسان محتــاج لغيره ، فرغيف العيش مثلاً يحتاج إلى عدد من الأخوَّة من بني آدم كي يتعاونوا الواحد بعد الآخر حتَّى ينشأ رغيف يأكله الإنسان ، فهو محتاج إلى فلاح وتاجر وطحَّان وعجَّان وخبَّاز إلى غير ذلك ، وهكذا كلّ شيء في هذه الحياة يحتاج إلى الأخوَّة المتعاونة والأيدي العاملة :

﴿ ... وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ... ﴿٢﴾ ﴾

المائدة ، وبتجمُّع الذوات البشريَّة نشأ المجتمع فكــان لا بــدّ مــن الشريعة ففيها الأحكام التي تنظِّم حياة الناس وتعريفهم بحدودهـــم وما يجــب ومــا لا يجب ، ولا معنى للقانون أو الشريعة بدون عقل وهذا هو الركن الثامن من أركان الكمال الإنسانيّ ، والنبي ﷺ ارتقى فوق كــلّ كمــال سابق أو لاحق ، فهو في قمَّة هرم الكون بعوالمه

كلّها ساجداً لربِّه فقيـــراً إليه ، وقد جعله الله مَجْمَع مراكز الكمـــال كالمخّ جعله الله مَجْمَع مراكز الأعصاب لكلِّ أجهزة الجسد وأعضائه وحواسه ، وما المخّ إلا إشارة إلى النبي الجامع ﷺ الذي ارتقى ليلة الإسراء والمعراج ، فمرَّ بكلِّ هؤلاء الأنبياء ــ عليه وعليهم الصلاة والسلام ــ عارجاً إلى أعلى ، وقد ذكرت أنَّ كلَّ نبي من هؤلاء يُمثِّل ركناً من أركان الكمال الإنسانيّ ، وقد مرَّ بهم متدرِّجاً من آدم فـــي السماء الأولى ، إلى عيسى ويحيى في السماء الثانية ، وإلى يوسف في السماء الثالثة ، وإلى إدريس في السماء الرابعة ، وإلى هارون في السماء الخامسة ، وإلى موسى في السادســـة ، وإلى إبــــراهيم في السابعة ــ عليهم جميعاً وعلى خاتم النبيِّيـــن أفضـــل الصـــــلاة والسلام ــ وبصلاته ﷺ بالمسجد الأقصى إماماً لجميعهم قبل عروجه إلى السماوات العُلا ثبتت إمامته لجميع النبيِّين وبالتالي للصـــدِّيقين والشهداء والصالحين ، فهو أوَّل المسلمين وسيِّد المرسلين وخـــاتم النبيِّين وأسوة المؤمنين وجوهر الناجين ونـــور الموحِّـــدين وهـــو المُتقلِّب في الساجدين وقائد المجاهدين وشفيع المذنبين ورحمة الله للعالمين فماذا حـــدث بعد ذلك ؟ هذا ما ستعرفه فـــي المعلومـــة الثانية .

معلومة {٣} :

يا ولدي بعد صلاته ﷺ بجميع الأنبياء إماماً ، وبعد أن نفذ من أقطار السماوات بعد نفاذه من أقطار الأرض ، بلغ سِدْرَة المُنتهى وعند هذا المستوى توقَّف سيدنا جبريل ــ عليه الصلاة والسلام ــ وقال : لو

اخترقت لاحترقت ، ما منّا إلا له مقام معلوم . وعند سِدْرَة المُنتهى يا ولدي تنتهي علوم الخلائق ، وإذا كان جسدك في مقابل الأرض ، وروحك وقلبك في مقابل السماوات ، فإنّ عقلك في مقابل سِدْرَة المنتهى ، فأنت جِرم صغير انطوى فيك العالم الأكبر ، بعد ذلك زُجَّ به ﷺ حيث لا مكان ولا زمان ولا حال له صلة بالعالمين ، بل هو حال تفرَّد به هو وحده ﷺ العبد الواحد الذي يوحِّد الواحد ، فهو الإمام في القبلة وحده في حضرة السجود لربِّ الوجود ، فهو النبي في كلِّ نبي ، وهو الرسول في كلِّ رسول ، وهو الصدِّيق في كلِّ صدِّيق ، وهو الشهيد في كلِّ شهيد ، وهو الصالح في كلِّ صالح ، وهو المؤمن في كلِّ مؤمن ، وهو الكامل في كلِّ كامل ، وهكذا أراده الله رحمة للعالمين خلقه فسوَّاه ، وقدَّره فهداه ؛ لأنَّه (محمَّد) ﷺ الذي حمده أي أثنى عليه ربُّه حين قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم ؛ ولأنَّه (أحمد) ﷺ أي أحمد الخَلْق لله ، أي أكثرهم ثناءً على الله فهو الذي أقامه ربُّه في مقام العبوديَّة الصادقة المطلقة ، فهو أوَّل العابدين عند مليك مقتدر ، وقد ورد حديث أخرجه الترمذي وأخرجه النسائي في قيام الليل وتطوُّع النهار ، وأخرجه أبو داود في الصلاة ، وأخرجه ابن ماجة في إقامة الصلاة والسنَّة مروي عن علي ﷺ أنّ النبي ﷺ كان يقول في آخر وِتره : [اللهم إنِّي أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك] وهذا هو عين التوحيد وعين التسليم ؛ لأنَّه هو أوَّل

المسلمين وأوّل العابدين ، كما أنَّه هو المُثنِي على الله بثناء ربِّــه ، وهو الشاهد بشهادة الواحد الأحد ، وهو الحامد بحمد رب العالمين ، فحاله بالتجلِّي ، وحال الذين منه بالتحلِّي ، وحــال الــذين معـــه بالتخلِّي ، والله أعلم .

السؤال التاسع والعشرون :

لماذا أطلقت على طريقة الله الطريقة الجامعة ؟ وهل الأسماء التي تُسمَّى بها الطرق الصوفيَّة تتنافى مع هذا الاسم الكامل ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي من بين أسماء الله الحسنى اسمه تعالى (الجامع) فهو جامع العظام : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ ﴾ القيامة ، وهو جامع القلوب المؤمنة ومؤلِّفها : ﴿ ... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران ، وهو الجامع للناس يوم القيامة : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ آل عمران ، وهو جامع القرآن : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة ، وهو القادر على أن يجمع الناس على الهدى : ﴿ ... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنعام ، فهو ﷻ جامع كلّ شيء ، والقرآن من القَرء يعني الجمع فهو الكتاب الجامع ، بمعنى الكامل الشامل الذي فيه تبيان لكلِّ شيء ، ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وهو الكتاب الأصلي وما قبله كتب فرعيَّة ، وهو الكتاب الكُلي وما قبله كتب جزئيَّة ، وهذه الكتب الفرعيَّة الجزئيَّة التي أصلها القرآن ما هي إلا أنصبة منه نزل بها الروح الأمين على الأنبياء كلّ واحد منهم على سعة نصيبه ، ويشير إلى ذلك المعنى قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾آل عمران

والنبي محمَّد ﷺ خاتم النبيِّين هو الرسول الجامع جعله الله مركزاً لجميع الأنوار والأسرار ، وأقامه الله مرجعاً لهدايات الأنبياء ، وهو المبعوث للناس كافَّة ، والمرسَل للعالمين رحمة ـ أو هو رحمة للعالمين ـ شاهداً ومبشِّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهو مَرْكَز في الوجود كالعقل مَرْكَز في الوجود الإنسانيّ ، وما العقل الإنسانيّ إلا من تجلِّيه بنوره ﷺ ، وكما أنَّ المخّ الذي هو إشارة إلى العقل جعله الله مجالاً لمراكز الأعصاب ، وكلّ عصب متصل بنقطة ما في الذات البشريَّة ومتحكِّم فيها ، فجميع أجهزة وأعضاء وحواس الجسم تابعة لها ، وما هذا الكائن العجيب إلا وسيلة إيضاح وإشارة إلى الكائن المحمَّدي الذي جمع جميع هدايات الرسل : ﴿ ... فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ... ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنعام ، جعله الله مخرجاً للنور ومرجعاً إليه ، فمنه وإليه يخرج النور ويرجع ، وقد تسأل يا ولدي : كيف يكون ذلك وهو المأمور بالاقتداء بهداياتهم والمعروف إنَّ المُقتدَى به يتميَّز عن المُقتدِي ؟! ولكنَّ الأمر هنا وبالنسبة للنبي محمَّد ﷺ يختلف ؛ لأنَّه مأمور أن يَقْتَدِي بجميع الأنبياء ، و عبد لله فَضَّله الله بهذه السعة الروحيَّة التي تسع جميع ما في الأنبياء من أسرار وأنوار ، ألا تعطينا إشارة إلى إمامته لهم وسيادته عليهم ؟ ولذلك صلَّى بهم إماماً ليلة الإسراء والمعراج ، وجعل كتابه هو المهيمن ، ورسالته مطلقة لا تتقيَّد بمكان ولا بزمان ، فمنه يخرج النور ويرجع ، فيدخل في دائرة نوره جميع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ومن معهم

من المطيعين لله ورسوله وحَسُن أولئك رفيقاً ، فهو نقطة البداية نوراً ، ونقطة النهاية ظهوراً ، وهو خاتم النبيِّين شريعة ، فلا نبي بعده ، والحقيقة أنَّه هو النبي في كلِّ نبي ، والرسول في كلِّ رسول ، والصدِّيق في كلِّ صدِّيق ، والشهيد في كلِّ شهيد ، والصالح في كلِّ صالح ، والموحِّد الواحد ـ لله الواحد ـ في كلِّ موحِّد ، والكامل في كلِّ كامل ، هو محمَّد ، المحمود بحمد الله له الذي أثنى عليه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم ، وكلّ نبي بهذه الحقيقة هو محمَّد على قدره حقيقةً ، ونائب عنه قبله زمناً شريعةً ، بل من ظهر بعده من أولياء الله بمختلف درجاتهم بنوره خلفاؤه ، اللهم صلِّ على النبي وآله مصابيح نوره من بعده ومن قبله وسلِّم تسليماً ، وهنا أنا لا أتكلَّم عن مجرَّد الذات البشريَّة لسيدنا محمَّد ﷺ فقط ؛ لأنَّها ما هي إلا مرآة ، وإنَّما أتكلَّم عن الصفات والأنوار والأسرار المجموعة في النبي الجامع التي لا يخلو منها صالح سابق أو لاحق ، سواء أكان معصوماً كالأنبياء أم محفوظاً كالأولياء ، فالأنبياء من قبله نوَّابه ، والأولياء من بعده خلفاؤه ، وكلّ حسب درجته ومقامه على قدر ما وَرِثَ من النبي الجامع ، الذي كان خُلُقه القرآن الكريم الكتاب الجامع ، والكعبة هي القبلة الجامعة ، يجتمع في اتِّجاهها جميع المؤمنين متَّجهين إليها بالوجوه والصدور في صلواتهم ، فهي القبلة الظاهرة لِمَا ظهر من المؤمن ، والاتِّجاه إليها شرط من شروط صحَّة الصلاة ، وبناؤها المادي مرفوع على القواعد التي خلقها الله كالجبال والبحار وليست

من صنع البشر ، وهذا البناء المادي الذي يتلألأ هيبة في قلوب المؤمنين ، ما هو إلا رمز هداية يمتدٌّ منه إلى أعلى نور الوصل ، النور الدال على الله ، وهو ليس بمكشوف ولا مشهود إلا برفع حجاب الشهوات وكشف غطاء الأهواء ، وهو يمتدٌّ إلى أعلى ، وكلّ جهة أعلى على مستوى الكون الأرضي ؛ لأنَّ السماء وهي الجهة العليا محيطة بالأرض من كلٍّ جهاتها ، فحين يتَّجه المؤمن أينما كان إلى الكعبة في صلاته ، فالجهة العليا مفتوحة أمامه وفي موقعه وهو بنيَّته متَّجه للصلاة ، إلى القبلة من حيث وجهه وصدره ، وإلى خالق هذا الكون بكعبته ، بعقله وقلبه وحسِّه وشعوره وكلِّه ، وما الصراط المستقيم ـ الذي هو عمود النور الممتدّ من فوق الكعبة إلى لا زمان ولا مكان ـ إلا إشارة إلى حال نبيِّنا المصطفى ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بعد أن نفذ من أقطار السماوات والأرض وأقطار سِدْرَة المنتهى ، وزُجَّ به إلى حيث لا منتهى ، فهي القبلة الجامعة على الله حقيقة ، يا ولدي إنَّ الحديث عن معنى الجمع لا تشبع منه القلوب ؛ لأنَّه زاد الحبّ والسلام ، فهيَّا بنا أواصل معك الحديث عنه في المعلومة الثانية .

معلومة {٣} :

يا ولدي الإسلام هو الرسالة الجامعة ؛ لأنَّ الرسالات السابقة رسالات مقيَّده بزمان ومكان محدودين ، وما هي إلا أطوار منه سابقة لكماله لنا وتمام نعمته علينا ، وقد رَضِيَه الله لنا ديناً ، وكلّ رسالة من الرسالات السابقة كاملة في ذاتها وفي عصرها وفي

موقعها حسب ظروف وأحوال مَن أُرسِل إليهم حامل هذه الرسالة ، وكلّ رسول يساوي رسالته ، وكلّ مُرسَل يساوي كتابه ، أي نصيبه من القرآن ، وكلّ رسالة سابقة رسالة جزئيَّة فرعيَّة في موضوع واحد هو الإسلام في أطواره الصاعدة إلى الكمال ، وهو النعمة في صورها الصاعدة إلى التمام حتَّى إذا ظهر المصطفى ﷺ بالإسلام اسماً وصفةً نزَّل الله تعالى : ﴿ ... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ... ﴿٣﴾ ﴾ المائدة ، وهذا يعني أنَّ الإسلام الذي ظهر بظهور النبي محمَّد ﷺ هو الدين الكامل والنعمة التامَّة ، إنَّه الإسلام الدين الجامع ، كذلك التراب هو الأصل الجامع للأجساد ، (كلُّكم لآدم وآدم من تراب) كما أنَّ السماء هي السقف الجامع الذي يظلُّنا جميعاً ، والأرض هي البساط الجامع الذي يُقلُّنا جميعاً ، وما قدَّر الله فيها من رزق هو الرزق الجامع للناس جميعاً: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ... ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة ، ويوم القيامة هو يوم الجمع : ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ... ﴿٩﴾ ﴾ التغابن ، وإذا تأمَّلنا هذا الكون نلاحظ أنَّه قائم بقاعدة الجمع وميزان الجمع ، فلولا قانون الجمع ما قام شيء ، وهكذا أراد الله ، انظر إلى أي شيء تجد أنَّ فقده لذاته بقدر تحلُّله من قانون الجمع ، فجميع لَبِنَات الجدار شرط لقيامه ، وجمع عظام الإنسان شرط لقيام جسده ، وجمع القش بالخيط شرط لبسط الحصير ، وجمع عناصر وذرَّات وأجزاء أي مخلوق أو مصنوع شرط لظهوره ووجوده ، وهكذا جمع الحروف شرط لإنشاء الكلمة ، وجمع الكلمات شرط

لإنشاء الجملة ، وجمع الجمل شرط لإنشاء الموضوع سواء أكان منطوقاً أم مسطوراً ، كلُّ شيء في هذا الكون نشأ عن قاعدة الجمع، الهواء والماء والتراب والنار : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر ، ندرك من ذلك كلّه أنَّ طريقة الله في الوجود المادي والمعنوي هي الجامعة ، فالجمع هو الأصل بعد كلمة (كُن) في الإيجاد ، وإذا كان الجمع هو قانون كلّ شيء ، فبدونه لا يبرز في عالم الشهادة شيء مادي ولا تظهر حياة مادية ، سواء أكانت جماداً أم نباتاً أم حيواناً أم بشراً ، وهذه إشارة إلى أنَّه بدون قانون الجمع أيضاً لا تكون هناك حياة روحيَّة ، أو معرفة ربَّانيَّة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا أدمن كثير من المسلمين التعاون على الإثم والعدوان ، وليس هناك أشدّ إثماً وعدواناً من التفرُّق والاختلاف ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثالثة .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي الاتِّحاد بين المسلمين والتعاون على البرّ والتقوى أساس لأمَّة الإسلام ، فهي الأمَّة الجامعة ، ومن الفطرة أن تكون جامعة لكي تكون خير أمَّة أخرجت للناس ، فليس هنا من خير للناس مثل أن يجتمعوا على الخير ، ولا يضيع أي خير إلا بالتفرُّق والاختلاف ، هذا ما نتعلَّمه من الإسلام ، وقد يُقال : إذا كانت طريقة الله هي الطريقة الجامعة ، فهل ما تتسمَّى به الطرق الصوفيَّة من أسماء تتنافى مع هذا الاسم الشامل لطريقة الله ؟ كذلك يُصبح السؤال قائماً بالنسبة لأيَّة فِرَق وطوائف أخرى تنتشر في العالم الإسلامي إذا

كانت طريقة الله جامعة كما ثبت ذلك ، فلماذا هذا التفرُّق ؟ ولماذا هذا الاختلاف ؟ يا ولدي اقترب منّي ؛ لأنّه موضوع دقيق حسّاس ، أمّا عن الطُرق الصوفيّة فهي في أصلها وأصل نشأتها عبارة عن مدارس متعدّدة للتربية والتزكية والمنهج واحد ، أو مصابيح متعدّدة والنور واحد وهذا ما يجب أن يكون ، وأن يتعاون الجميع على كثرة مجالس الخير ، ويكون التعدُّد للتعارف والتآلف ، لا للتفرُّق والاختلاف ، إنّ الله خلق الخلق وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحُجرات ، فأيّ تعدُّد في المسلمين العلّة في وجوده إسلاميّاً كوسيلة تعارف وتعاون وتآلف وتنوُّع خيرات وتعدُّد حسنات وزيادة أنوار ، أمّا إذا ترتّب عليه تفرُّق واختلاف فهو تعدُّد ملعون ، وطريقة الله الجامعة هي الطريقة التي تدلُّ الناس على النور الواحد من أجل أن تُشرق المصابيح المتعدِّدة بنور الله ، وتنبّهم إلى المنهج الواحد من أجل أن تنجح هذه المدارس المتعدِّدة في التربية والتعليم بمنهج الله ، فالمشكلة ليست في التعدُّد ولكنّ المشكلة في النفوس وحبّ الغلبة والتنطُّع والبدع والخرافات ، إذا كانت الأجساد أساسها : كلُّكم لآدم وآدم من تراب ، فما بالك بالأرواح والقلوب كيف لا تكون أشدُّ قرباً ومعرفة بوحدانيَّة الله ووحدانيَّة الرسالة ووحدانيّة القبلة ووحدانيَّة الخُلق ؟! ولا أدري أيريد هؤلاء المُفرِّقون لدينهم المتنطِّعون والمتشيِّعون والمُبتدعون ، أقول : أيريدون أن يُبعث فيهم رسول الله ﷺ من جديد لكي يدخلوا ـــ

برحمة الله ـ في عباده الصالحين ؟! يا ولدي لمَّا كان الله هو الجامع ، والإسلام هو الدين الجامع ، والقرآن هو الكتاب الجامع ، وسيدنا محمَّد ﷺ هو الرسول الجامع ، والكعبة هي القبلة الجامعة ، وبيت الله هو المسجد الجامع ، والتراب هو الأصل الجامع ، والسماء هي السقف الجامع ، والأرض هي البساط الجامع ، وجميع المخلوقات والمصنوعات في تكوينها قائمة بقاعدة الجمع ، ويوم القيامة هو يوم الجمع ، لمَّا كان الأمر كذلك كانت طريقة الله هي الطريقة الجامعة ، وأمَّة الإسلام هي الأمَّة الجامعة ، ودعوة الله هي الدعوة الجامعة ، والداعي إلى الله الجامع خادمها ما هو إلا مؤذِّن ، يؤذِّن منادياً إلى الجمع بإذن الله ، فهو بدعوة الله يجمع ولا يُفرِّق، ويبني ولا يهدم ، ويُصلح ولا يُفسد ، ويتسامح ولا يتعصَّب ، ويدعو إلى سلامة القلب بالتطهير ، واستقامة الجسد بالتيسير ، وإطلاق العقل بالتحرير ، وتحقُّق العبوديَّة لله وحده بالتسليم والفرار إلى الله ، وأن يتعارف الناس ، ويتآلف المؤمنون ، ويتكاتف الجميع من أجل الجميع ، ووقاية كلّ ما ذكرت من الضياع يكون بالحِرص الشديد على حفظ أمن كلّ موجود نافع مُحافظ على الأمن .

السؤال الثلاثون :

ما هي المعاني المتعلِّقة بالهجرة ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي حين نقول : إنَّ فلاناً هاجر يتبادر إلى الذهن أنَّه يتحرَّك من المكان المُقيم فيه إلى مكان آخر ، وهذا يعني أنَّ الهجرة تعني الحركة ، وكما يُقال في المثل البلدي : (البركة في الحركة) وحركة القالب ــ أي الجسد ــ إلى الأمام ، أمَّا القلب فحركته معنويَّة إلى أعلى بقدر سلامته ، وإلى أسفل على قدر فساده ، وحركة الجسد هي الصورة ، وحركة القلب هي الأصل ، ومن هنا كانت حركة القلب ، وهجرة القلب هي الغرض والفرض ، وقد أشار إلى ذلك قول النبي ﷺ : [لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيَّة] من حديث عبد الله بن عبَّاس ــ رضي الله عنهما ــ في البخاري ، أي بعد فتح مكَّة ؛ لأنَّها أصبحت دار توحيد مثل المدينة ، فلا فرار منها ولا معنى للفرار إلى المدينة مرة أخرى بعد أن تطهَّرت من الشرك بعد الفتح ، إذاً لا هجرة من مكَّة إلى المدينة ولكن الباقي هو مجاهدة النفس الأمَّارة بالسوء والشيطان عدو الله وعدونا ، وبصدق النيَّة والنيَّة في القلب . والهجرة ليست معارضة المجتمع بعد تكفيره بدون بيِّنة عليه أو أدلَّة يقينيَّة وهَجر التعامل معه ، وليست الهجرة معاداة المجتمع وتكفير من يتعامل معه حتَّى ولو توفَّرت البيِّنة وثبت الدليل فالمطلوب معالجته بالتي هي أحسن ، ومجادلته بعلمٍ وهدىً

وكتاب مبين ، فعلى جميع الاحتمالات لا يجوز مفارقة المجتمع مادام العلاج وارداً والإصلاح جائزاً ، فما بالك ومجتمعنا وبخاصَّة في مصر في أوقاته الخمسة للصلاة وبأعلى صوت يُعلن توحيده وتصديقه من خلال أصوات المؤذِّنين في آلاف المساجد ومن فوق المآذن التي تحمل مكبِّرات الصوت ، وإن كان هنا وهناك تحفُّظ بخصوص سوء استخدام مكبِّرات الصوت بطريقة مُفزعة مُزعجة وبأصوات جافَّة متعاونة مع هذه المكبِّرات على الإثم والعدوان على المرضى والعجزة والمصلِّين في المنازل ؛ لأنَّه لا ينبغي أن يُستخدم مكبِّر الصوت إلا للأذان فقط بصوت جميل وهدوء ، ولتبليغ العلم بطريقة هادئة خاشعة متأنِّية محبَّبة للقلوب الوجلة ، لا بطريقة الصراخ والأنغام والآهات ، المهمُّ نعود يا ولدي إلى موضوعنا وهو أنَّ مجتمعنا مسلم وليس كافراً ، وعلى أيَّة صورة لا يجوز تكفيره أو مفارقته بهجرة ، إذاً الهجرة ليست الهروب من المرض والمرضى حتَّى لو فُرِض أنَّ المجتمع مريض فإنَّ البقاء بين المرضى – إن صح هذا التعبير – لمعالجتهم بالتي هي أحسن وأعقل هو الأصح ، وهو التصرُّف الحكيم وهو الجهاد الحق هذا لو فُرِض أن المُعالِج صحيح ، فما بالك والمعالِج نفسه في هذا العصر لا يخلو من المرض ؟! أو على أحسن تقدير قد يكون مُشْرفاً على الشفاء أو أكثر تجربة من المريض – إلا من رحم ربُّك – وهذا يعني أنَّ الهجرة في جوهرها حركة القلب إلى أعلى ، ولا تستقيم هذه الحركة وتعلو بصاحبها إلا بمجاهدة نفسه مع صدق النيَّة وسلامة السلوك

من أجل أن يتحقَّق وصول ، والوصول هداية : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ... ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت ، والهجرة هي فرار القلب إلى الله : ﴿ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الذاريات ، الفرار من العبوديَّة لغير الله إلى العبوديَّة لله وحده ؛ لأنَّ العبوديَّة لغير الله فيها دمار للإنسان ؛ لأنَّه خروج عن الفطرة السليمة ، والخروج عن الفطرة سقوط في الهاوية ، تدبَّر يا ولدي هذا القول الكريم لتدرك ما أقول : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة ، هذه الآية تُشير إلى الهجرة الحقيقيَّة وتحذِّر من كلِّ ما يتنافى مع هذه الهجرة الحقيقيَّة ، فالهجرة الحقيقيَّة هي الفرار إلى الله ، أي أن تُحبَّ الله وتُؤثره على كلِّ شيء في هذه الحياة ، فإن آثر عبد أي شيء على الله فهذا هو الضلال المبين ، وإن آثر الله على كلِّ شيء فهذا هو التوحيد وهذه هي المعرفة ، وعلامة ذلك التخلُّق بالهجرة الحقيقيَّة وهي الفرار إلى الله من كلِّ ما يحجبه ويُبعده ويدمِّره ، فالهجرة هي الفرار من القسوة إلى الرحمة ، ومن الرحمة إلى الرحمن الرحيم ، والفرار من الرحمة أو من أي معنى طاهر يعني أن لا تدَّعيه لنفسك ، إنَّما هو حسنة من الله وما أنت إلا مرآة تعكس أنوار الله ، الفرار من البخل إلى الكرم ومن الكرم إلى الكريم ، الفرار من الحُمق إلى الحِلم ومن الحِلم إلى الحليم وهكذا ، والفرار من الأدنى إلى الأعلى سلوك

مجاهدة ، والفرار من الأعلى (من الأخلاق) بمعنى عدم ادّعائها للنفس كمصدر لها والاغترار بها ، أقول : الفِرار منها إلى العلي العظيم إنَّما هو هداية ووصول ، وهذا يعني أنَّ الإنسان يجاهد كي يتطهَّر من الأغيار إلى الأنوار ، ويزكو بالأنوار إلى معرفة الله إلى النور الذي هو نور السماوات والأرض ، فلا تصيب نفسه نجاسة الأغيار ، ولا يعوقها الوقوف مع الأنوار وادّعائها لنفسه ، بل هي النعم التي تقرِّبه إلى الله ؛ لأنَّ الغاية هي الفِرار إلى النور الحقَّ وهو الله فإليه يرجع الخير كلّه ، تدبَّر يا ولدي قول الله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ... ﴿٧٩﴾ ﴾ النساء ، إذاً أُلخِّص لك معنى الهجرة في المعلومة الثانية فهيَّا بنا .

معلومة {٣} :

يا ولدي الهجرة هي التخلِّي والتحلِّي والتجلِّي ، فالتخلِّي الفرار من القُبح إلى الحُسْن حتَّى يتحلَّى به ، والتحلِّي هو الفرار إلى المحسن وهو الله حتَّى يتجلَّى عليه فلا يرى الإحسان إلا منه ، ويقوم العبد بذُلِّ القُبح من نفسه وبعزِّ الحُسْن من ربِّه ، فكلَّما تذكَّر قبحه ذَلَّ ذُلَّ العبوديَّة ، وكلّما كشف إحسان ربِّه كانت له العزَّة بالله : ﴿ ... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴿٨﴾ ﴾ المنافقون ، ولكن لا تنس يا ولدي أن العزَّة جميعها لله : ﴿ ... فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ النساء، ويقول : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ... ﴿١٠﴾ ﴾ فاطر ، فيأيُّها المسلم ليست الهجرة هروب الضعيف من الحياة والانعزال في قفص العُقد النفسيَّة أو النفور من المجتمع واتِّهام الآخرين ؛ إنَّما

الهجرة السليمة هي حركة القلب إلى أعلى كما ذكرت سابقاً ، وذلك بتخلِّي العبد عن الرذائل ، وتحلِّيه بالفضـــائل ، وردّ الفضـــائل إلـــى صاحب الفضل العظيم وهو الله الذي يتجلَّى على عبـــاده الصـــادقين بفضلـــه وكرمـــه وجماله وجلاله ، والله أعلم .

السؤال الواحد والثلاثون :

هل تارك الصلاة كافر خالد في النار ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي معنى كلمة (كَفَر) غطَّى ، ولذلك نجد كلمة (Cover ـــ كفْر) في اللغة الإنجليزيَّة تعني : يغطِّي ، وكَفْر الكــرة أي غلافهــا الذي يغطِّيها من الخارج ، إذاً الذي كَفَر هو الذي غطَّــى الحقيقــة وأخفاها كلّها أو بعضها ، أمَّا الإيمـــان : فهــو الإقــرار بالحقيقــة وإظهارها وإعلان التصديق بها ما أمكن ذلك ، والكُفْر صــورتان : صورة نقيضهــا الإيمان ؛ لأنَّها كُفْر بـــالمُنعم بوجــوده أو بكمالــه المطلق ، والمُنعم هو الله المُتَّصف بكلِّ كمال المُنزَّه عن كلِّ نقص . وصورة أخرى من الكُفر نقيضها الشُكر ؛ لأنَّهــا كُفــر بالنعمــة أي الاشتغال بها والاغترار بها مع الغفلة عن المُنعم وعدم الشكر لــــه ، ولكن هل عاقبة الكُفر بالمُنعم تساوي عاقبة الكُفر بالنعمة ؟ هذا مــا ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرَّة ، فالكُفر بالمُنعم يعني أنَّ الكــافر يعبد غير الله ، وهذا يؤدِّي إلى الخلود في النار ؛ لأنَّ هــذا الكُفــر جحود وهو نقيض للإيمان ، والإيمان هو الذي يحجب العبــد عــن الخلود في النار ، أمَّا الكُفر بالنعمة فناشيء عن غفلة عن المُنعم ، وهو معصية صاحبها إذا دخل النار لا يخلَّد فيها بل يبقى بقدر غفلته

وكُفره بالنعمة ، ثمَّ يخرج بعد تطهيره هذا إذا لم تلحقه مغفرة العَفُوّ قبل دخوله النار ، ومغفرة العَفُوّ هي المغفرة السابقة للعذاب وهي حاجبة له بفضل الله ، والكُفر بالنعمة أشار إليه رسول الله ﷺ : فعن الأعمش عن أبي سفيان قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : [إنَّ بين الرجل وبين الشِرْك والكُفر ترك الصلاة] صحيح مسلم ، وهناك فرق بين جاحد الصلاة ، وتارك الصلاة غفلة وجهلاً ، فجاحد الصلاة هو الذي لا يؤمن بفرضيَّتها وهو خالد في النار ؛ لأنَّه مُكذِّب لله ورسوله ، أمَّا تاركها كسلاً وغفلة فهو عاصٍ إن شاء الله غفر له وإن شاء عذَّبه ، وهذا الكُفر نقيض الشُكر ، ولا ينبغي الخلط بين كُفر الجحود وكُفر الغفلة والكسل ، وأظنُّ أنَّ من يُكَفِّر المجتمع المسلم الذي يُعلن الشهادة خمس مرات من خلال الأذان في اليوم الواحد تكفير جحود أظنُّ أنَّ هذا من الكُفر ، وكان الأفضل ألا نعالج الأمور بالاتِّهام ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .

السؤال الثاني والثلاثون :

ما الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبَيْن أن يحملنها وأشفَقْن منها وحملها الإنسان ؟ ولماذا كان ظلوماً جهولاً رغم حمله لها ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي يقول الله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب ومادة الهمزة والميم والنون تعبِّر عن معانٍ سامية ، كالإيمان والأمن والأمانة والأمنية والأمان ، وكلّها معانٍ متواصلة متآلفة يروي بعضها بعضاً ، فبقدر الإيمان تُحفظ الأمانة ، وبقدر حفظ الأمانة يكون الأمن ، وبقدر حفظ الأمن يكون الأمان ، وهذه معانٍ يتمنَّاها كلّ فرد وكلّ مجتمع ، فهي أمنية كلّ مؤمن لمجتمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد قيل : إنَّ الأمانة الواردة في الآية هي العقل ؛ لأنَّه مناط التكليف ، وقيل : إنَّها التكاليف الشرعيَّة نفسها ، وقيل : هي حريَّة الاختيار وهكذا تعدَّدت الآراء وكلّها صحيحة ؛ لأنَّ كلَّ رأي يُمثِّل وجهاً من وجوه الإجابة الصحيحة الكاملة ويشير إلى الحقيقة إلى حدٍّ ما ، والأمانة في اعتقادي هي الخلافة بمؤهِّلاتها ، وأدعو الله أن يلهمني الصواب حتَّى أكون مصيباً في ذلك ، وأرجوه أن يكون قد ألهمني المعنى الجامع أو القريب منه ، والخلافة تعني : كون الإنسان مرآة تعكس

أنوار الحقّ ، وإن كانت الخلافة هي الأمانة فإنّ مؤهّلاتها هي ما وهبه الله للإنسان كي تتحقّق خلافته في الأرض كما جعله الله : ﴿ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة ، فما هي هذه المؤهّلات التي تجعل من الإنسان خليفة ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي الإنسان : جِرم صغير فيه انطوى العالم الأكبر ، وقد ميّزه خالقه بإدراك الأشياء وجعله مرآة تعكس قدرة الله وأحكام الله وأخلاق الله وبذلك تتحقّق خلافته ، فما يقوم به الإنسان من نشاط وعمران دنيويّ يشير إلى قدرة الله ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الواقعة ، وحين يحكم القاضي أو الحاكم بالعدل والحقّ بين الناس إنّما يشير إلى عدل الله وتطبيق أحكام الله بين الناس ، أمّا الواجب على كلّ مسلم فهو أن يَسلَم قلبه وتستقيم بشريّته فيصبح مرآة تعكس أخلاق الله بعد أن وهبه الله صفات الوجود والحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر ، إلى غير ذلك من أنوار الصفات العالية التي يتحقّق بها وجوده الإنسانيّ الإيمانيّ الإسلاميّ ، بل بعد أن ركّب فيه الغرائز الموجّهة أو القابلة للتوجيه بمنهج الله ، ومن حديث أبي هريرة ﷺ في البخاري : { مَن عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه ، فإذا أحببته كُنت

سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه ... } ، وليس معنى ذلك انتقال صفات الله منه إلى عبده فهذا مستحيل ولا يقول به مؤمن ولا عاقل ولا يتّفق مع الفطرة السليمة ، وإنّما المقصود ــ والله أعلم ــ بهذا الحديث هو أنّ الله وهب الإنسان ما يُطهِّر به قلبه من عقيدة ، ويُطهِّر به بشريّته من شريعة ، فإذا سلِم القلب واستقام الجسد صار العبد كالمرآة تعكس أنوار الله ، فينشر الإنسان المشرق بنور الله الرحمة بالرحمة والكرم بالكرم والعدل بالعدل وهكذا ؛ لأنّ الله هو وحده الرحمن الرحيم العدل الكريم ، وهكذا تنتظم الحياة كما خلقها الله على الفطرة السليمة في المبنى وفي المعنى وفي الوسيلة وفي الغاية ، وأذكر كلاماً ردّده بعض العلماء معناه أنّ الله وهب للإنسان صفاته فإن ادّعاها قسمه بدون مبالاة ، وهذا الكلام في جوهره حقّ ، ولكن ما معنى ادّعاء الإنسان هذه الصفات المُشار إليها في هذا الكلام ؟ هذا ما ستعرفه ــ إن شاء الله ــ في المعلومة الثالثة فهيّا بنا .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي معنى ادّعاء الإنسان الصفات الموهوبة له أي غفلته عن صفاته المُشار إليها في القرآن وهي واجبة في حقّه من حيث ذاته ، أمّا ما وهبه الله من صفات فهي صفات المِنّة وصفات التأهيل لعبوديّته لله كي تتحقّق خلافته فلا خلافة بدون عبوديّته لله ربّ العالمين ، فقد نسي الإنسان الظلوم من حيث قلبه الجهول من حيث

عقله أنَّه عدم ، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ الإنسان ، أقول إنَّه عدم وإيجاده بمشيئة الله وقدرته وأنَّه جاهل وعِلمه ـ إن حصل له عِلم ـ من الله العليم ، والإشارة في قوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ... ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل ، وإنَّه ميِّت وحياته من الحيِّ المحيي ، والإشارة إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر ، وإنَّه مضطر وإرادته من الله الفعَّال لما يريد ، والإشارة إلى ذلك : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التكوير ، وإنَّه عاجز ضعيف وقوَّته من القويِّ الذي هو على كلِّ شيء قدير ، والإشارة إلى ذلك : ﴿ ... وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء ، وإنَّه فقير وغِناه من الله وبالله ، والإشارة إلى ذلك في قوله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ فاطر ، وهكذا بل له من الصفات التي أشار إليها القرآن ممَّا يدلُّ على أنَّه ظلوم كفَّار مُسيء إلى غير ذلك ، ولذلك نهاه عن الادِّعاء وعن تزكية نفسه ، والادِّعاء بأنَّها مصدر للخيرات وأنَّ الحُسْن فيها ذاتي ، وأنَّ الفضل لها فيما تقوم به من أعمال طيِّبة حين قال له : ﴿ ... فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم ، وهكذا تجاهل الإنسان قَدْرَه ، فادَّعى فرعون الربوبيَّة ، وادَّعى قارون الغنى ، وادَّعى إبليس العلم ، فهلك هؤلاء أئمَّة الكفر ، وهلك كلّ من سعى سعيهم وادَّعى ادِّعاءهم ، فقد هلك فرعون مغروراً بسلطانه ، وهلك قارون مغروراً بماله ، وهلك أبو جهل محجوباً بجهله ، وهلك

أبو لهب مشتعلاً بلهبه ، وكلّ مغرور سقط في مستنقع غروره ، وطُرد إمامهم إبليس مغروراً بعبادته وعلمه وهذا هو منتهى الغرور؛ لأنَّه هلك بما كان ينبغي أن ينجو به ، وصدق الله حيث قال : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ... ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية ، وأضلَّه الله أي حرمه من هداية التوفيق ؛ لأنَّه عابد لهواه رغم علمه ، ورافض لهداية التبليغ ومعارض للدعوة إلى الله ، ولا شكَّ في أنَّ الذي لا يكون عبداً لله ولا يعرف قدر نفسه مثل هذا الشخص إنَّما هو (صفر على الشمال) كما يقولون ، أي لا وزن له ولا قيمة له ، ماذا حدث لفرعون المغرور ؟ ابتلعه الماء ثمَّ لفظه ليكون عبرةً وعظةً ، ماذا حدث لقارون ؟ ابتلعه اليابس وما كان عنده من أموال وهكذا ينهزم الادّعاء ويسقط الكذب : ﴿ ... وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ سبأ ، أمام الصدق والأمانة ، ولكن كيف يحفظ الإنسان كونه خليفة فيكون أميناً لا ظلوماً جهولاً ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الرابعة .

معلومة { ٤ } :

يا ولدي حفظ الأمانة ــ أمانة الخلافة ــ معناه أن يكون الإنسان المرآة النقيَّة الصافية التي تعكس أخلاق الرحمة والعدل في كلِّ ذرَّة من ذرَّات المكان ، وفي كلِّ لحظة من لحظات الزمان ؛ لكي تتحقَّق الخلافة ، وبذلك تبقى الأمانة محفوظة ومصانة في حياة الإنسان ولقد وهبه الله العقل وهداه للإيمان وكلَّفه بالشرع ، فإذا فكَّر ليهتدي ، واعتقد ليطهر ، وعمل الصالحات ليستقيم ، إذا تحقَّق ذلك

طهر قلبه ، وطهرت بشريَّته ـ أي طهـرْ باطنـاً وظـاهراً ـ وإذا تحقَّقت الطهارة قلباً وقالباً تحقَّقت الخلافة ـ أي خلافة الإنسـان ـ بتسليمه لله وتلقِّيه عنه وصار مرآة ـ كما قلت سابقـاً ـ تعكس قدرة الله وحكم الله وحكمة الله وعدل الله ورحمـة الله وعلـم الله : ﴿ ... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ... ﴿٧﴾ ﴾ غافر ، من هنا كانت خلافة الإنسان تعني أنَّه مرآة تعكس أنـوار الرحمـة والعلـم وتُفشي خُلق السلام بين الناس ، فالخليفة الحقيقـيُّ هـو السـراج المنير ﷺ ونوَّابه من قبله الأنبياء ـ علـيهم الصـلاة والسـلام ـ وخلفاؤه من بعده الأولياء ﷺ ، وهو الذي أظهر الخلافة وأظهر الله به الخلافة ، وكلّ من اتَّبعه فقد أدَّى الأمانة تابعاً له مقتدياً به ، وكلّ من أعرض عنه فهو الظلوم الجهول ، فقد أظهر الله رسوله ﷺ حجَّةً وبرهاناً وأسوة وإماماً ، وخاطبه بقولـــه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴿١٢٨﴾ ﴾ آل عمران ، فما هو إلا مرآة الحقيقة لا جهل فيها لنقائها وشفافيَّتها ولا علم إلا ما علَّمه الله وما أظهره الله فيه من خُـلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم ، ومن هنا وجب على الإنسان لكي ينجو من الظلم والجهالة أن يجمع ولا يفرِّق ، ويبنـي ولا يهـدم ، ويُصلح ولا يُفسد ، ويعدل ولا يظلم ، ينشـر الرحمـة بالرحمـة ، ويُحقِّق العدل بالعدل ، ويُفشي السلام بالسلام ، ويكفـي مـا قالـه رسول الله ﷺ في هذا المعنى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : [لن تدخلوا الجنَّة حتَّى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتَّـى تحـابُّوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم] صحيح

مسلم ، وكلُّ شيء في الإسلام يعلِّمنا كيف نكون شرفاء في حفظ الأمانة وحملها بالحقِّ وللحقِّ وبخاصَّة الصلاة ، وستعرف ذلك في المعلومة الخامسة .

معلومة { ٥ } :

إنَّك يا ولدي في كلِّ يوم تدخل حضرة الله بتكبيرة الإحرام ، وكذلك كلّ مسلمٍ طهر من الظلم والجهل ، وبعد تكبيرة الإحرام يحرم الاشتغال بغير الله ، والالتفات لغير جهة الصلاة ، وتظلُّ مُكرِراً القيام والركوع والسجود والقراءة والتكبير والتسبيح ، وهذه هي حضرة السلوك التي تنتهي بآخر سجدة تسبق القعود ، تليها حضرة الوصول البادئة بالتشهُّد والمنتهية بالصلاة على النبي ﷺ مع ذكر سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو سمَّانا المسلمين ، وإذا أراد المسلم أن يعود إلى الخلق بعد أن كان في حضرة وضيافة الحقِّ ، رجع بهديَّة السلام يذكره عن يمينه وعن شماله ، وهذه إشارة واضحة إلى أنَّ المسلم يرجع بهديَّة ربّه إلى خلقه ـ هديَّة السلام ـ والسلام لكلِّ شيء هو رسالة الخلافة في الأرض ؛ لأنَّ السلام وسيلة لنشر الحبِّ بين الناس وبين الخلق ، وهو عنوان لكلِّ الصفات الطيِّبة وكلّ الأخلاق التي تجمع الناس على الخير والتعاون على البرِّ والتقوى ، السلام يندرج تحته كلّ خُلق عظيم ، فالرحمة سلام ، والعدل سلام ، والحكمة سلام ، وكلّ ما كلَّفنا الله به من عقيدة وشريعة وأخلاق سلام ؛ لأنَّ كلَّ ما يصل بنا إلى السلام سلام ، والمسلم من سلِمَ الناس ـ وبخاصَّة المسلمون ؛ لأنَّهم

أُخوة ــ وجميع الأشياء من لسانه ويده ، فعن ابن عمر ــ رضــي الله عنـهما ــ أنَّ رسول الله ﷺ قــال : [المسلــم أخــو المسلــم ، لا يظلمه ، ولا يُسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فَرَّج عن مُسلم كُربة فَرَّج الله عنه بها كُربة مــن كُــرب يــوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله] مُتفق عليه ، والمسلم الخليفة متحررٌ بالتعارف بين الناس متخلِّق بالتآلف بين المــؤمنين ، فهــو دائرة رحمة محيطها العدل ، وهو دائـــرة نـــور محيطهـــا العلــم ، والرحمة نور ، والعدل علم ، وإن شئت فقل : النور رحمة والعلــم عدل ، وبالعلم والنور نُبصر ونعي فتتحقَّق الخلافة .

السؤال الثالث والثلاثون :

ما هي الحقيقة المحمَّديَّة ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي اسم محمَّد مكون من خمسة حروف هي : الميم الأولى ، الحاء ، الميم الوسطى مشدَّدة فهي (ميمان : الثانية ، الثالثة) وخامس حرف هو الدال " م ح م م د " الميم الأولى إشارة إلى أنَّه ﷺ مرآة الحقيقة ، وحرف الحاء إشارة إلى أنَّه ﷺ حميد الظاهر ، والميم الثانية إشارة إلى أنَّه ﷺ محمود الباطن ، والميم الثالثة إشارة إلى أنَّه مستور المَقام والقدْر لعلوّه ، أمَّا حرف الدال فإشارة إلى أنَّه دائم الرقي ، وعلى صورة هذا الاسم صوَّر الله آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأنَّه خلق آدم على صورته ، فالله هو المصوِّر والصورة لها أصل ، أي صورة آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ أصلها من هذا الاسم الشريف ، وإذا كانت الصورة ــ صورة آدم ــ كرَّمها الله فقال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ... ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء ، والتكريم له معنى بأنَّ الأب كُرِّم لخلق صورته مثل صورة أكرم خلق الله ﷺ؛ لأنَّه أتقاهم والله يقول : ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات ، وكذلك كلّ ابن منسوب إليه هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى صورة آدم ــ وبالتالي كلّ ابن له ــ كرَّمها الله وشرَّفها حيث صوِّرت على صورة اسم محمَّد ﷺ ، فما بالك بصورة النبي الأمّيّ ﷺ ، وما بالك بالمُسمَّى نفسه الذي كُرِّمت جميع صور بني

آدم ؛ لأنَّها خُلقت علــى صــورة حــروف اسمــه " مُحَمَّــد " ﷺ ؟ ولكن كيف تكون صورة آدم ــ عليه الصــلاة والسلام ــ مــأخوذة من اسم سيِّدنا محمَّد ﷺ ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي ميم اسم سيِّدنا محمَّد ﷺ الأولى إشارة إلى الرأس أو الرأس إشارة إلى الميم الأولى في اسم النبي الأمِّيّ ﷺ ، والحاء إشارة إلى الذراعين أو اليدين أو هما في كلِّ إنسان إشارة إلى الحاء في الاسم الشريف وهكذا ، والميم الثانية إشارة إلى الصدر ، والمــيم الثالثــة إشارة إلى البطن ، أمَّا الدال فهي إشارة إلى الرجلين ، لعلَّك يا ولدي أدركت كيف تكون الصورة البشريَّة تشــير إلــى حــروف الاســـم الشريف ، أو أنَّ الحروف إشارة إليها ، وإذا كانت هــذه الحــروف لهذا الاسم الشريف إشارة إلى صورة الإنسان ، فما بالك بعلاقة هذا الأسم بذات المُسمَّى به ــ الذات الشريفة ــ منبع كُلّ طُهر ، ومصدر كلّ نقاء ﷺ ، فالميم في اسمه ﷺ إشارة إلى رأســه ﷺ ، والــرأس أعلى وهو مجال المُخِّ ، والمُخُّ يرمز إلى العقل ، والعقل هو المرآة التي إذا نجت من الهوى والشهوة عكست الحقيقة ، وهذه الحقيقــة المجرَّدة هي العلم الصحيح ، وعقل النبي ﷺ هو النور الأدنى ، وهو وسط في غاية الشفافية ومُنتهى النقاء ، ولنقائه الكامل ولشــفافيَّته التامَّة وتسليمه المُطلق لله نزل النور الأعلى وهو نور الوحي علــى قلبه ﷺ فلم يجد إلا التسليم المُطلق لله والعبوديَّة المحمَّديَّة الأولى لله وحده ، فنشأ نور معرفة الله ، نور الهداية التي جاءت عقب حيــرة

الشوق إلى الله وإلى معرفته المُشار إلى ذلك بقوله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ الضحى ، وهكذا تحقَّق الهدى والمِنَّة ، وكان نور الوحي على نور العبوديَّة والتسليم والشوق الذي هو جوهر العقل المحمَّديّ ـ العقل الأوَّل ـ فكان ما كان مِن مِنَّة واصطفاء ورحمة : ﴿ ... نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ النور ، وما ذكرته ما هو إلا قطرة ممَّا نؤمن به غيباً بشأن النبي ﷺ والذي أدنى مراتب عصمته مُشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ النجم؛ لأنَّ أدنى مراتب العبد نطقه ، فما بالك بما فوقها من مراتب فكم يكون كماله في أعلاها ؟! إذاً هو مرآة الحقيقة نصّاً وبياناً : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة ، فهو الذي استقبل بسرِّه عن الله مباشرة ، وأخذ عنه في عالم الغيب حقيقة ، وأخذ عنه من خلال سيِّدنا جبريل عليه السلام في عالم الشهادة طريقة ، وتأمَّل يا عبد الله قول الله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران ، فمن المقطوع به أفضليَّة النبي ﷺ على الملائكة للإجماع على ذلك خلافاً للمعتزلة وعلى أولي العلم ، فأين شهادته في هذه الآية الكريمة ؟ إذاً شهادته مُندرجة في شهادة ربِّه الواحد الأحد ، فشهادته ليست بالتكليف ولكن بالتجلِّي الأوَّل والتشريف ، أي أنَّه المرآة التي عكست عن الحقيقة مباشرة ، وعن هذه المرآة أخذت مرايا أولي العزم من الرُسل ، وعن مراياهم أخذت مرايا المرسَلين، وعنها أخذت مرايا النبيِّين ، وعنها أخذت مرايا

الصدّيقيــن ، وعنها أخذت مرايا الشهداء ، وعنها أخــذت مرايــا الصالحين ، كيف ذلك ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثالثة .

معلومة {٣}:

تدبَّر يا ولــدي قــول الله تعالــى : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف ، ما الفرق بين ذي علم وعليم ؟ العلــيم هــو عبــد وصل لعلم ، أمَّا ذو علم فهو عبد سالك للوصول إلى هــذا العلــم ، فالعليم واصل وذو علم سالك ، ومن العلم أن يكون فوق كلِّ ذي علم عليم ، هذه بداية لو أدركتها يا ولدي لعرفت معنى أخْذ مــرآة عــن مرآة حتَّى نصل إلى مرآة الحقيقة العليا التي تأخذ عن الحقيقة ؛ لأنَّ العلم فيها يتميَّز أنَّه يُؤخذ مباشرة عن الحقيقة ، أمَّا أيَّة مرآة أخرى فهي تأخذ خيالاً عن خيال ؛ لأنَّ العليم الحقيقي هو الله عالم الغيــب والشهادة ، تعالى معي يا ولدي تدبَّر هذا القول الكريم الذي أشــرت إليه في أوّل هذه المعلومــة : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف ، فالصالح ذو علم وفوقه الشهيد عليم ، والشــهيد ذو علــم والصدّيق عليم ، والصدّيق ذو علم وأي نبي عليم ، وكــلُّ نبــي ذو علم وأي رسول عليم ، وكلُّ رسول ذو علم وأي رسول من أولــي العزم عليم ، وأي رسول من أولي العزم ذو علم وخاتم النبيّين عليم ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ وخاتم النبيّين ﷺ ذو علــم والله فوق الجميع هو العليم حقيقة ، وما آتاهم الله كلّهم جميعاً مــن العلم إلا قليــلاً : ﴿ ... وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء ، إذاً كون النبي ﷺ مرآة الحقيقة ــ وميمه الأولى في اسمه محمَّد إشارة

إلى ذلك ــ أي أنَّه أخذ عن الحقيقة مباشرة فهو المرآة الواحدة التي لا شريك لها في القبلة ــ قبلة العبوديَّة لله ــ فهو أوَّل العابــدين ، فما فيه خيال أي مجاز عن حقيقة أو عن الحقيقة ، أمَّا دونــه مــن المرايا فهي عاكسة لخيال عن خيال ، أمَّا حديثي عن بقيَّة ما تشير إليــه حروف اسمه ﷺ ، فهيَّا بنا يا ولدي إلى المعلومة الرابعة .

معلومة { ٤ } :

يا ولدي حاء اسم النبي محمَّد ﷺ تشير إلى أنَّه حميد الظاهر ، فقــد كَمُل خَلْقاً وخُلُقاً ؛ لأنَّ ظاهره مرآة باطنه ، وباطنه مــرآة سِــرِّه ، وسِرِّه مرآة الحقيقة ، أو أنَّ مرآته تأخذ عــن تجلِّي الحقيقــة فــي ذاته ، فكان بحقٍّ الداعي الحقيقي إلى الله ، وما الأنبياء من قبله إلا نوَّابه ، وما الأولياء من بعده إلا خلفاؤه . وهو محمود الباطن ، وقد أشارت إلى ذلك الميم الثانية ، وهــي أولــى الميمــين فــي المــيم المُشدَّدة ، وما معنى محمود الباطن ؟ أي أنَّه ﷺ كنز مــن الخيــرات والبركات ، بما لا يدركه أو يسعه جميع النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، فقلبه ﷺ كمرآة واسعة نقيَّة صافية تترجم عــن قولــه تعالى مُخاطباً له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم ، فهو المحمــود عقيدة وخُلقاً وعلماً وسرّاً ، ويكفــي أنَّه قد ورد عنه قولــــه ﷺ : [المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ــ ثم أشار بيــده إلــى صــدره فقال ــ التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، التقــوى هاهنــا] رواه الإمام أحمد والإمــام مسلم ، وقلبــه كنــز للقــرآن ، لقولــه تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء،

وهذا يُشير بوضوح إلى هذا القلب الكبير ، كم تكون سعته ؟ وكم يكون نقاؤه ؟ وكم يكون صفاؤه ؟ وكم يكون استيعابه ؟ والنبي محمَّد ﷺ أوَّل خلق الله رحمةً وعدلاً وعلماً وكرماً ورأفةً وحكمةً ومودَّةً وصبراً وشكراً وأمناً وسلاماً وهكذا يكون قلبه ﷺ قائماً بأنوار الأسماء الحسنى ، أي أنَّه مرآة تعكس أنوارها التي تشرق على باطنه من خلال سرِّه ، والحقيقة أنَّ قدر النبي محمد ﷺ لا يُحيط به إلا خالقه ، فلا يعرف قدره بكماله إلا الله ، وإليك يا ولدي المعلومة الخامسة .

معلومة { ٥ } :

يا ولدي أبدأ حديثي معك حول الميم الثانية من الميم المُشدَّدة وهي تعتبر ثالث ميم في اسمه ﷺ وهي تشير إلى أنَّه مستور المَقام والقدر فهو أوَّل المسلمين ، وهو أوَّل العابدين ، وهو إمام النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، وهو آدم الأرواح وقدوة الأشباح، وكنز الأسرار ومشرق الأنوار ، وجميع الكائنات تسجد بسجوده للحيِّ الذي لا يموت أبداً ، وهو الرحمة العامَّة للعالمين ؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء ، وهو الرحمة الخاصَّة بالمؤمنين : ﴿ ... بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة ، فلا يعرف قدره ﷺ إلا ربُّه ، وقدره بقدر عبوديَّته لله وحده فعبوديَّته لله مُطلقة ، وهو أوَّل العابدين الذي أدَّبه ربُّه فأحسن تأديبه في حضرة الحقِّ المطلق الذي ذِكْره له بالحال مدداً وبأكثر من أنفاسه عدداً ، وكونه ﷺ دائم الرُّقيِّ يشير إليه قوله ﷺ أنَّ له ساعة

مع الله لا يسعه فيها إلا الله ، وهذا يعني ــ والله أعلم ــ أنَّ الله يُقلِّبه بالقبض والبسط ، ففي حالة القبض يذوب فلا يبقى ، وبفنائه يبقى بالباقي فلا يسعه مخلوق ويسع هو كلّ مخلوق ، وفي حالة البسط يذوب فلا يفنى وببقائه يفنى بالباقي فلا تسعه إلا رحمة ربِّه ، وكلّها أحوال لا أقوال ولا أفعال ، وكلّ حال فيه يُشير إلى رُقيِّه الدائم ، لذلك يقول الله : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى ، وعصمته هي العصمة الكُلِّيَّة ، مثل القرآن الأصليّ والكُتب السماويَّة هي كُتب فرعيَّة وهي أنصبة الأنبياء من الكتاب الأصليّ ، يُشير إلى ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ آل عمران .

السؤال الرابع والثلاثون :

من هو الوليُّ ؟

الإجابة :

معلومة {١} :

يا ولدي الوليُّ له صفات تسع : هي كونه إنساناً مؤمناً تقيّاً آمناً مُنشرحاً مُبشَّراً ثابتاً فائزاً محظوظاً ، وهيَّا بنا يا ولدي إلى كتاب الله ننظر في سورة يونس : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ تدبَّر يا ولدي هذه الآيات الثلاث ستجد فيها الإشارة إلى ثماني صفات من الصفات وأبدأ بصفة كونه إنساناً باعتبارها الصفة التي تأتي بعدها هذه الصفات الثماني ، وكونه إنساناً يعني أنَّه محتفظ بفطرته التي فطر الله الناس عليها ، وأقصد بذلك أنَّ سلوكه الفطري يتناسب مع صورته الآدميَّة البشريَّة فأنت تلاحظ يا ولدي صورة الإنسان صورة مُكرَّمة ، فرأسه في أعلى ، ناحية السماء وفيها المُخّ رمز العقل ، وهذا يعني أنَّ الهيمنة فيه ينبغي أن تكون للعقل يهيمن على هوى القلب وشهوة الجسد ، فالعقل إشارة إلى الرجولة ، والنفس إشارة إلى الأنوثة ، والقاعدة في الحياة قول الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ... ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء ، أي أنَّ الرجولة وهي تُمثِّل العقل من حقِّها أن تكون مهيمنة بالحقِّ على الأنوثة وهي تُمثِّل العاطفة ؛ لأنَّ العاطفة كالماء لا بدَّ لها من

شواطيء لحفظها وتوجيهها والانتفاع بها ، هذا في مجال الأسرة ، وفي مجال كلّ إنسان ينبغي أن يجعل الهيمنة الحقّة للعقل على العاطفة بجانبيها الهوى والشهوة ، لذلك نلاحظ أنّ الولي بفطرته الإنسانيّة عاقل مستقيم حكيم أي معدنه طيّب وجوهره سليم ، وجاء التكليف بالنظر والتفكر والإيمان والعمل الصالح لصقله وترقيته ، فكانت الصفات الثماني بعد كونه إنساناً بفطرته لاستثمار هذه الفطرة السليمة وتطويرها والمحافظة عليها ، أمّا كونه مؤمناً يعني أنّه يترقّى في معارج الإيمان الخمسة وهي : ـ

١- التصديق : وهو الإيمان بالسماع ثقة في المُبلِّغ أو بالنظر ثقة في المعقول .

٢- اليقين : وهو زيادة الإيمان من خلال التصديق والعبادة لله .

٣- علم اليقين : وهو زيادة الإيمان من خلال الإلهام والتلقي بالفهم عن الله ، ببركة إخلاصه لله وصلته برسول الله ﷺ وحُبّه للصالحين ﷺ .

٤- عين اليقين : وهو زيادة الإيمان بالكشف والمُشاهدة والنظر بنور الله .

٥- حقّ اليقين : هو زيادة الإيمان بالربّانيّة التي يَمُنُّ الله بها على عبده .

فالمصدّق سمع من رسول الله ﷺ أو من أحد ورثة علمه فآمن ثقة فيه ومنّة من الله ، والمؤمن جالسه ربّه من خلال حضرات الطاعة لقول الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي بين الحقّ ﷻ وسيّدنا

موسى ﷺ : { أنا جليس مَن ذكرني } عن كعب عن النبي ﷺ ، مصنَّف ابن أبي شعبة ، فحدث اليقين نتيجة لممارسة عمله الصالح بصدق ، والقائم بعلم اليقين هو الولي المُلْهَم بالعلم اليقيني من الله ، والعبد القائم بعين اليقين هو الولي الذي ينظر بنور الله بعد كشف الغطاء فهو أهل بصيرة وصاحب كشف ، والعبد القائم بحقِّ اليقين هو الولي الذي أصبح بفضل الله ربانيّاً محبوباً لله يسمع به ويُبصر به ويبطش به ويخطو به ، وهكذا نلاحظ أنَّ الولي مُترقٍّ إلى أعلى في معراج وحدانيَّة الله ، بمعنى أن يطهر تماماً من الأغيار سواء أكانت أغيار القلب وهي الأهواء ، أم أغيار القالب وهي الشهوات والماديَّات ، فيرجع إلى مجرَّد كونه مرآة نقيَّة صافية تعكس أنوار الله ، أي أنوار الأسماء الحُسنى ، أي أنَّه في هذه الحالة ليس له من الأمر شيء ، فهو مجرَّد مرآة لا شيء فيها إلا أنَّها تعكس من رحمة الرحيم ومن كرم الكريم ومن علم العليم وهكذا ، هيَّا بنا يا ولدي إلى المعلومة الثانية .

معلومة {٣} :

يا ولدي كون الولي تقيّاً يعني يُترجم عن إيمانه بعلمه وقوله وفعله وأخلاقه وحاله ، فهو بالكَلِم الطيِّب صاعد وبالعمل الصالح مرفوع وبالعلم النافع مُهتد ، وهو بالممارسة الصادقة الصالحة الصحيحة الطيِّبة مع الله ومع نفسه ومع خلق الله في مجال عقله وفي مجال قلبه وفي مجال جسده وفي مجال حواسِّه ، ولسانه نقي تقي وقاه الله الشرور ، أي حفظه منها بفضله وكرمه ، وكونه آمناً أي

مطمئنّاً لوعد الله واثقاً فيه في كلِّ مجال فهو آمِن على قُوْتِه ؛ لأنَّه قانع بما في السماء من رزقه وآمِن من دنياه ؛ لأنَّه زاهد غِناه في قناعته ، وآمِن من السلطان ؛ لأنَّه مُؤيَّد بحكمته وآمِن من عدوِّه ؛ لأنَّه منصور بمناصرة ربِّه ، وآمِن من الفتن ؛ لأنَّه فارٌّ إلى الله بدينه ، وآمِن من الفقر ؛ لأنَّ غِناه في قلبه ، وآمِن من المصير ؛ لأنَّ المصير إلى الله ربِّه ، وآمِن من الناس ؛ لأنَّه زاهد فيما في أيديهم ، وآمِن في مجال العقل ؛ لأنَّه أسلم لله ، وآمِن في مجال قلبه ؛ لأنَّه أيقن بالله ، وآمِن في مجال جسده ؛ لأنَّه قائم بالله ولله ، وآمِن في مجال حواسِّه ؛ لأنَّه محفوظ بالله ، وآمِن في الليل ؛ لأنَّ مصباحه قلبه ، وآمِن في النهار ؛ لأنَّ عينه عقله ، وآمِن في الصيف ؛ لأنَّ هواه تبعاً لِما جاء به خاتم النبيِّين ﷺ ، وآمِن في الشتاء ؛ لأنَّ حرارته في إيمانه ، فهو آمِن من كلِّ شيء وعلى كلِّ شيء ، وآمِن به كُلُّ شيء ؛ لأنَّه في قبضة الله القويّ المتين ، الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير ، أمَّا كونه فَرِحاً مُنشرِحاً أي مُنشرحاً صدره بنور الله ، مطمئنّاً قلبه بذكر الله ، والفرح صورتان أو للفرحِ صورتان : فرح بالله ولله وبكلِّ ما يُرضيه وبمن هو راضٍ عنه ، أي فَرِح بالعمل الصالح وبالعاملين ، وبذكر الله وبالذاكرين ، وبالعلم والعالِمين ، وبالطاعة والمطيعين وهكذا . والصورة الأخرى للفرح هي الفرح بما يُلهي ومن يُلهي عن ذكر الله والله لا يُحبُّ الفرحين ، فهذا الفرح هو فرح الغفلة والقسوة ؛ لأنَّه فَرِح بسوى الله ، إذاً هو فرح الوهم والخيال لا الحقيقة ؛ لأنَّه لا أصل له ؛ لأنَّه

لا يوجد بحقٍ إلا الله في ذاته ، وما من شيء إلا قائم به غير مُستغنٍ عنه ، ثم إنَّ فرح الولي ناتجٌ عن حزنه على فوات شيء من الخير ، فعاقبة حُزنه فرح وعاقبة فرحه بالخير فرح أعمق منه ، فهو في كلِّ أحواله فرح ؛ لأنَّه فرح بالله فهو الفرح المُطْمَئِن بذكر الله ومعرفته في الدنيا وشوقه الشديد للنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة ، ومعنى كونه مُبشَّراً هذا ما ستعرفه يا ولدي ـ إن شاء الله ـ في المعلومة الثالثة مع ما تيسَّر من بقيَّة الصفات ، فهيَّا بنا .

معلومة { ٣ } :

يا ولدي كون الولي مُبَشَّراً في الدنيا يعني أنَّه مُبشَّر بالرؤيا الصالحة يراها أو تُرى له ، ومُبشَّر بذكر الله له حين يجد نفسه يذكر الله ؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... ﴿١٥٢﴾ ﴾ البقرة ، ويُبشَّر بحبِّ الصالحين له ، فلا يذمُّه إلا حسود جهول مُبغِض ، ولا يبغضه إلا منافق ظلوم ، ولا ينفر منه إلا من في قلبه مرض فزاده الله مرضاً ، ولا يخذله إلا عدو للخير ، بل أقول إنَّ بُغض الحسود أو المنافق له يُبشِّره بالخير ، وليس معنى ذلك أنَّه يركن لمدح أو لذم ، ولكن يجد في حُبِّ الصالحين له بُشرى ، بحبِّ الله الذي إذا أحبَّ عبداً ألقى محبَّته في قلوب عباده ، وهو مُبشَّرٌ بالحسنة الموفَّق لها لقوله ﷺ : [اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا] أخرجه الإمام أحمد عن السيدة عائشة ـ رضي الله عنهما ـ وهو مُبشَّرٌ بالكرامة التي يُظهرها الله على يديه لتَثْبيته وتأييده دون الركون لها ، إنَّما ثقته في الله ، وتوكُّله على الله ،

واستعانته بالله ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله ، ومُبشَّرٌ بالسيما في وجهه لقوله تعالى : ﴿... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... (٢٩)﴾ الفتح ، ومُبشَّرٌ بالإلهام وبالقول الثابت لقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ... (٢٧)﴾ إبراهيم ، ومُبشَّرٌ بالناشطات وهي ملائكة الرحمة التي تحضر لقبض روحه الطيِّبة قُبيل خروجه من الدنيا ، أمَّا في الآخرة فهو مُبشَّرٌ ببياض الوجه : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ... (١٠٦)﴾ آل عمران ، ومُبشَّرٌ بإتيانه كتابه بيمينه ، وبمحاسبته حساباً يسيراً ، وبنجاته من الحرِّ بظلِّ عرش الرحمن ، وبرجحان كفَّة حسناته ، وباتِّساع صراطه وقصره وبسرعته فوقه ، وبشفاعة خاتم النبيِّين ﷺ ، والولي في ذاته مُبشَّرٌ بثباته ورسوخه في مجال عقله ، وكونه من الراسخين في العلم الذين يقولون : كلٌّ من عند ربِّنا وما يذَّكَّرُ إلا أولوا الألباب ، حيث أنَّ علم الولي – إن كان له علم – أو جعل الله له علماً إنَّما هو ناشيء من تسليمه لله وتلقِّيه عنه ، وهو أيضاً مُبشَّرٌ لثباته في مجال قلبه ؛ لأنَّه مطمئنٌّ ساكن خاشع ، وكون الولي ثابتاً يعني أنَّه ثابت في جميع المجالات ، في مجال عقله ؛ لأنَّ ما وهبه الله من علم نافع إنَّما هو ناشيء من تسليمه لله وتلقِّيه عنه كما ذكرت سابقاً ، كما أنَّه ثابت في مجال قلبه ، وثباته هنا يعني كونه مطمئنّاً ساكناً خاشعاً وَجِلاً كما ذكرت ، وثباته في مجال جسده كونه ثابت الأقدام ، ساكن الأعضاء ، هيِّن الحركة ، وثباته في مواجهة القضاء والقدر خيره وشرِّه وحلوه ومُرِّه ، فهو ثابت عند

العطـاء وعند المنع ، ففي مجال العطاء ثابت بشـكره لله إن كـان سالكاً ، وبإيثار غيره على نفسه إن كان واصلاً ، وفي مجال المنـع ثابت بصبره لله إن كان سالكاً ، وبشكره له إن كان واصـلاً ؛ لأنَّـه موقـن أنَّ الله لا يقضي إلا بالحقِّ ولا يُقدِّر إلا الخير ، وما يتصوَّره العبد مُرّاً هو حلو الباطن وحلو العاقبة ، ملخَّص القـول : هـو أنَّ الولي ثابت على دين الله الخالص لله في السراء والضـراء وحـين البأس ، والمُثبِّت له هو الله الولي المتولِّي شئونه كلّها : (يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك) وكونه فائزاً ؛ لأنَّه مُزَحْزَح برحمـة الله عن النار بحالة طُهر عقله من المنازعة ، وطُهـر قلبـه مـن الشرك، وطُهر جسده من الفساد ، وطُهر فروجه كلّها من الضياع ، وبخاصَّة الفم كمدخل للقمة ومخرج للكلمة ، وكونه محفوظاً يعنـي أنَّه مُستمدٌّ وممدود من عصمة الأنبياء وأصلها عصمة خاتم النبيِّين ـ عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ وهنا أُحبُّ أن أتكلَّم عـن العصمة والحفظ ، فالعصمة للأنبيـاء والحفـظ للأوليـاء ، فـالنبي معصوم، أي مصروف عنه السوء : ﴿ ... كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف ، والولي محفوظ أي مصروف هو عن السوء والفحشـاء بتـذكُّره وإبصـاره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ الأعراف .

السؤال الخامس والثلاثون :

من هم أولوا الألباب ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي أولوا الألباب وصفهم الله بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران ، إذاً الذكر والفكر هما معاً علامة على اللُبِّ ، فما هو اللُبُّ ؟ وهذا السؤال يجرُّنا إلى ضرورة أن نذكر الصدر والقلب والفؤاد ، وأستطيع أن أذكر حكمة من فضل الله أشير بها إلى ما يربط هذه المسمَّيات وهي : (إذا انشرح الصدر اطمأنَّ القلب ، وإذا اطمأنَّ القلب فرغ الفؤاد ، وإذا فرغ الفؤاد أدرك اللُبُّ الآيات ، فهو جهاز واحد ينبسط بنور واحد وينقبض بالظلمات) وقد ذكرت لك أنَّ الذكر والفكر هما معاً علامة على اللُبِّ ؛ لأنَّ بها ينشرح الصدر ، ويطمئنُّ القلب ، ويفرغ الفؤاد من كلٍّ شاغل عن الذكر والفكر ، فيدرك اللُبُّ آيات الله فيزداد أولوا الألباب علماً وإيماناً وهدىً ، إذاً أولوا الألباب هُم الذين يعلمون ويؤمنون ويهتدون، والذكر من عمل القلب ، والفكر من عمل العقل ، والحقيقة أنَّ القلب مصباح والعقل بصر ، ولا تتحقَّق الرؤية ولا يحدث الإدراك إلا بتوفُّر النور والبصر ، وتلاحظ يا ولدي أنّ الذكر مذكور في الآية قبل الفكر وهذه إشارة ، إلا أنَّ طهارة القلب شرط لسلامة رؤية العقل حتّى يُبصر ويُدرك بحقٍّ فلا يزيغ ولا يطغى ؛ لأنَّ

فكراً بغير طهارة عمى ، وأدنى طهارة في القلب أن ينشد الحقّ ويسعى لمعرفة الحقِّ والحقيقة بدون هوى ، ويلتزم بالحياد حتّى يتمكّن العقل أن يُدرك بحقٍّ وأن يرى بصدقٍ ، فالعقول لا تبصر بالحقِّ إلا بطهارة القلوب ، وطهارة القلوب تتحقّق بسلامتها ، أي بقبولها للتطهير أوّلاً وبالرزق الحلال الطيِّب ثانياً ، حينذاك تتحقّق بالذكر الخالص لله على كلِّ حال قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فتشرق بنور الله ، وقد يتفكّر إنسان تفكُّراً صحيحاً هادفاً قبل أن يمارس الذكر ، وقد يصل إلى حقيقة أو رأي صحيح قبل الذكر ، فهل هذا يتعارض مع ما ذكرته سابقاً ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢}:

يا ولدي الردُّ على هذا السؤال بشأن هذا الإنسان المفكِّر هو أنَّ هذا الشخص أدنى ما في قلبه من سلامة أنّه كان يقصد المعرفة الصحيحة أو الوصول إلى الرأي الصحيح ، وهذه نيَّة بريئة وقصد طاهر يساعد على الفكر الصحيح ، ثمَّ إنَّ الفكر الكاشف المبصر لا يتحقَّق إلا في نور والنور مصدره القلب ، فإذا حدث ذلك عرف العبد ربَّه أو ازداد معرفة به وبالتالي تسليماً له وتحقّق بعبوديَّته لله وحده ، وكلُّ علم لا ينتهي بالعبد إلى معرفة الخالق وعبادته عبادة خالصة له يكون علماً ناقصاً ، وقد يكون علماً مضيِّعاً ؛ لأنَّ العلم الصحيح النافع في أنَّ العبد لله ، لا يعبد إلا إياه ، ولا يعبده إلا بما شرعه له ، من هنا سبق ذكر الذكر في الآية قبل الفكر ، فبالذكر يُشرق القلب سراجاً منيراً ، وبالفكر يُبصر العقل مُدركاً مُبيناً .

السؤال السادس والثلاثون :

ما الفرق بين التربية والتعليم ؟ ولماذا سبقت كلمة التربية كلمة التعليم ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي التربية والتعليم كلمتان تسبق إحداهما الأخرى سبقاً منطقيّاً وحقّاً ، فلا تعليم بدون تربية ، والتربية في ظنّي معناها وصول الأستاذ إلى قلب التلميذ ، والأستاذ هو المعلِّم ولا يصل إلى قلب تلميذه إلا إذا حاز حبَّه وإعجابه ، ولا يتحقَّق ذلك إلا إذا كان قدوة وأسوة ، كما أنَّ المُقتدَى به لا يصل إلى قلب المقتدِي إلا بسلامة هذا القلب واستعداده ، فالمعلِّم القدوة كالتيَّار الكهربيّ لا يشرق نوره إلا في مصباح سليم ، فاستعداد المقتدِي مع وجود القدوة تتمُّ بها عملية التربية ، بعدها تسْهُل عملية التعليم ، كيف ذلك ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٢} :

يا ولدي كيف تسهل عملية التعليم بعد توفُّر عملية التربية ؟ تسهل عملية التعليم ؛ لأنَّ التلميذ في هذه الحالة يتعلَّم من خلال حبِّه لأستاذه واعتقاده فيه وتصديقه له ، والأستاذ المعلِّم يربِّي ويعلِّم التلميذ من داخله ، أي من داخل التلميذ ؛ لأنَّه بداخله ـ أي بداخل قلبه ـ الذي يحبُّه ويوقِّره معنويّاً ، والعلم في جوهره نور يشرق من الداخل ، وما فشل نظام تعليم في أي عصر من العصور إلا حين

أصبح مجرّد معلومات جافة معقَّدة يُرجم بها التلميذ مـــن الخـــارج ، من خلال لسان مكسور أو كلام للبيع مسطور ، فيســتقبلها التلميــذ على مضض وهي قيد وسجن وعبء ، وبعد التخرُّج أين المفــرُّ ؟ إلى المنزل ــ بدون عمل ــ المُسْتَقَر ، فالتربية تعني تربية التلميــذ ولا يتربَّى التلميذ إلا بإنسان قدوة عن طريــق المعاملــة والخبــرة والتجربة الصادقة وكلّها أمور تهيئ التلميذ لاستقبال العلــم النــافع والانتفاع به ، والله أعلم .

السؤال السابع والثلاثون :

ما هي الطريقة ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي الطريقة شيخ ومريد ، أو أستاذ ومريد ، أو معلِّم ومتعلِّم ، أو مربٍّ ومُربَّى ، والمنهج بينهما هو كتاب الله من خلال السراج المنير ﷺ ، بل أقول : إن الطريقةَ هي سائل وخبير : ﴿ ... ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان ، ففي الدنيا إذا أراد الإنسان أن يصل إلى العلم والمعرفة والخبرة والتطبيق في مجال مهنة من المهن فالطريقة المعروفة هي أنَّه لا بدَّ من المنهج ، منهج هذه المهنة نأخذه بالتجربة والتلقِّي والملاحظة والتطبيق والاعتقاد من خلال خبير ، فمن أراد أن يكون نجَّاراً مثلاً فلا بدَّ له من نجَّار ومنهج النجارة ، ومن أراد أن يكون طبيباً فلا بدَّ له من طبيب خبير ، ومنهج الطب يأخذه ويتعلَّمه من خلال الصحبة والملاحظة والأسوة والتطبيق مع الحبِّ والأدب ، هكذا أمور الدين عقيدة وشريعة وأخلاقاً ، لا بدَّ لها من معلِّم مربِّي خبير يُقتدَى به ؛ لأنَّه أسوة حسنة ، مع العلم النافع الذي يعني سلامة القلب واستقامة الجسد والتعاون على البرِّ والتقوى ، والطريقة التي كان عليها خاتم النبيِّين ﷺ والذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ومن معهم من المطيعين لله ورسوله ، هي الطريقة الجامعة ، وقد أشرت إليها في الإجابة على السؤال التاسع

والعشرين ، ولكن لماذا تعدُّد الطرق في هذا العصر ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٣} :

يا ولدي تعدُّد الطرق وتعدُّد الشيوخ ليس عيباً في ذاته إذا كان التعدُّد كتعدُّد مدارس والمنهج واحد ، أو تعدُّد مصابيح والنور واحد ، ويكون التعدُّد بهذه الصورة وسيلة للتعارف والتعاون على البرِّ والتقوى ، والتآلف بين المؤمنين في أمَّة واحدة ربُّها واحد ، وهي أمَّة خاتم النبيِّين ﷺ الجامع لجميع هدايات الأنبياء والمرسلين ، والتي قبلتها واحدة ، وأركان عبادتها واحدة ، وكتابها واحد ، وتجمعها سُنَّة نبيِّها المُرسَل رحمة للعالمين ، وينبغي أن يكون رأس كلّ طريقة كأساً امتلأ بنور الله ففاض ، وبذلك تكثر كؤوس النور ويزداد نور الله وينتشر ، وإذا فاضت كؤوس امتلأت كؤوس أخرى وهكذا : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) ﴾ آل عمران ، وهكذا نشأت الطرق ومدارس العلم والتربية ، كمدرسة الإمام حسن البصريّ ، ومدرسة الإمام المحاسبيّ ، ومدرسة الإمام الجنيد ، وكمدرسة الإمام الغزاليّ ، وكمدرسة الإمام عبد القادر الكيلانيّ ، ومدرسة الإمام أحمد الرفاعيّ ، ومدرسة الإمام أبي الحسن الشاذليّ ، ومدرسة الإمام أحمد البدويّ ، ومدرسة الإمام إبراهيم الدسوقيّ ، ومدرسة الإمام علي البيوميّ ، وغيرهم من الأئمَّة العلماء العاملين والعارفين بالله والملهمين بعلمه ، وهذه المدارس هي ما أُطلق عليها اسم الطرق ، بصرف النظر عن

التجاوزات بدافع الجهل أو الهوى أو الوهم التي ظهرت في بعض المواقع ، بعد ذلك وسبق لي أن ذكرت أنَّه لا ينبغي أن نطفئ أو نكسر المصباح ؛ لأنَّ حشرات طائرة تتهافت عليه ، بل يجب الاختلاط والتعارف وبثّ العلم الصحيح النافع ، وكلّنا مؤمنون ، ملخّص القول أنَّ الطُرق إذا صحَّ منهجها وصدق أبناؤها والتزمت بعقيدة التوحيد وشريعة الله وأخلاق رسول الله ﷺ وكانت وسيلة تعارف وتآلف وتعاون على البرّ والتقوى ، إذا تحقَّق ذلك فستكون الأرض الطيِّبة المنتجة للأولياء والعلماء ، علماء الصدور قبل السطور ، وستكون كما ذكرت مصابيح متعدِّدة والنور واحد ، ومدارس متعدِّدة والمنهج واحد ، وكمساجد متعدِّدة والعبادة واحدة ، وجوهر طريق الله شيخ ومريد يتربَّى ويتزكَّى ويتعلَّم بالمنهج القرآنيّ والخُلق المحمَّديّ بدون رسم أو وهم ، وبدون خرافة أو بدعة ، وبدون تنطُّع أو تشدُّد : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الجنُّ .

السؤال الثامن والثلاثون :

هل ليلة القدر المُشار إليها في سورة القدر تخصُّ النبي ﷺ وحده أم تتعدَّاه إلى غيره من عباد الله ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي إنَّ ليلة القدر خير من ألف شهر ، وهي تقع في العشر الأواخر من رمضان في أوتارها ، ويغلب على ظنِّ العلماء أنَّها في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وقد تجلَّت في الشهر المعيَّن في حياة الرسول ﷺ ، وكان قد بلغ الأربعين وفي غار حِراء نزل عليه سيِّدنا جبريل عليه السلام بأوَّل سورة العلق ، وهذه حقيقة معروفة مشهورة ، ولذلك يقول الله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ القدر ، ويقول الله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ ﴾ الشعراء ، ويقول الله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ... ۝١٨٥ ﴾ البقرة ، إذاً أعلمنا الله بظرفها الزمنيّ وهو شهر رمضان ، أمَّا ظرفها المكانيّ فهو معروف بغار حراء ، أمَّا ظرفها من حيث الحال فهو قلب النبي ﷺ ، إذاً هذه ليلة بعينها وفي هذا الشهر بعينه وفي هذا المكان بعينه تخصُّ خاتم النبيِّين ﷺ وحده شرَّفه الله بها ، وشَرُف به هو ﷺ الزمان والمكان ، وإنَّ ورثته من أمَّته يصادفون من تجلِّي هذه الليلة الخاصَّة المباركة ما يجعل أنواراً من القرآن تنفذ إلى قلوبهم الخالصة لله فيدركون بذلك ليلة القدر ، ويحظون بالقدر الخاصّ بهم من هذه الليلة الواسعة ، التي لا يسعها زمان ولا

مكان من حيث ظرف الحال الخاصّ بخاتم النبيِّين ﷺ ؛ لأنَّ قلبه ﷺ أوسع القلوب رحمة ، وأكثرها معرفة ، وقلبه أتقى القلوب ؛ لأنَّه أخشاها لله على الإطلاق ؛ ولأنَّ القرآن نزل على قلبه فهو ميراثه وميراث أمَّته من خلاله وخلال اتباعهم له وأجهزة استقباله هي صدور الرجال وهم : ﴿ ... رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب ، ولذلك يقول الله : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت ؛ لأنَّها صدور طاهرة يقول الله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحجْر ، ولكي أقرِّب معنى ليلة القدر بالنسبة للمؤمنين وإدراكه لها في ليلة وتر من الليالي الأواخر العشر من شهر رمضان ، ونفاذ نور من تجلِّي هذه الليلة إلى قلبه وراثة عن رسول الله ﷺ ، وبذلك يدرك المؤمن ليلة القدر الخاصَّة به أو يشمُّ شيئاً من ليلة القدر العطرة ، يا ولدي كما أنَّ أشعَّة الشمس تنفذ من خلال النافذة الزجاجيَّة فتملأ الحجرة نوراً ودفئاً ، وفي الوقت نفسه تمنع نفاذ برد الشتاء القارص ، كذلك العبد الصالح مُقبل على طاعة الله طول العام إقبالاً أساسه التوبة الخالصة لوجه الله وبخاصَّة في شهر رمضان ، ثمَّ في هذا الشهر يكفُّ الصائم عن بعض عاداته واحتياجاته من طعام وشراب وجماع ومقدماته في نهاره ، وهو ذاكر شاكر قاريء لكلام الله وبخاصَّة في ليله ، وبذلك تتحرَّر بشريَّته من كثافتها ، فَيَرِق غطاؤه وتتحوَّل بشريَّته من الكثافة إلى اللطافة ، ويصير غطاؤه رقيقاً لطيفاً ، من خلاله ينفذ من نور القرآن ما ينفذ من ميراث

نورانيّ إلى قلب هذا العبد ، كما نفذت أشعَّة الشمس في المثال السابق كلٍّ حسب شفافيَّته ورقَّته ومعدنه ، فتتنزَّل من آيات الله على قلب المسلم النقيّ التقيّ ، فيحسُّ ويشعر ويذوق بما لا يدع مجالاً للشكّ بانشراح صدره وانفتاح قلبه وسموّ روحه ، وسريان نور في ذاته ، وليس معنى ذلك نزول النصّ في قلب المسلم ، ولكن المعنى نزول أنوار من النصّ ؛ لأنَّ النصّ كما هو ، لا يَسَعه إلا قلب واحد هو قلب النبي ﷺ ، واضرب لك مثلاً أو مثالاً أفرِّق بين النصّ في الذات المحمَّديَّة ، والنصُّ في أي مؤمن ، النصُّ وما بعد النصّ في الذات المحمَّديَّة كالمذاق الحلو في مادة العسل أو السكر ، فهو مذاق ذاتيٌّ ، أمَّا في غيره فهو مأخوذ من الذاتيّ ، كأخذ كوب الشاي حلاوته من مادة السكر ، فلعلَّك فهمت ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، إنَّ النزول بالنصّ كوحي قد خُتم ببعثة النبي محمَّد ﷺ ، والله يقول : ﴿ ... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ... ﴿٣﴾ ﴾ المائدة ، وميراث المسلم من هذه الليلة بقدر ما وصل إلى قلبه من أنوار ، ولكن لماذا لا يحدث لكلٍّ حافظ لألفاظ القرآن مثل هذا التجلِّي ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية.

معلومة { ٣ } :

يا ولدي القرآن ليس مجرَّد ألفاظ وحروف يتمتم بها لسان وتطرب بها الآذان ، وأظنُّ أنَّ معاملة الناس للقرآن بهذه الصورة نفاق ، فقراءة القرآن والاستماع له مع الإنصات يكون من القلب وإلى القلب ، أمَّا الاستماع فهو من وظائف العقل ، أمَّا الإنصات فمن وظائف القلب وهما

مرتبطان ، والتعامل مع القرآن بدون قلب وعقل ولمجرَّد اللفظ والصوت يعني : أن من يكون حاله هكذا ، يُخشى أن ينطبق عليه قول النبي ﷺ : [إنَّ أكثر منافقي أمَّتي قراؤها] فعن عبد الله بن عمرو بن العاص في مُسند الإمام أحمد ، وفي سلسلة الصحيحة للألبانيّ بلفظ [أكثر منافقي أمَّتي ...] ، إنَّ القرآن في القلب السليم له حلاوة يتذوَّقها المؤمن ، والإحساس بحلاوته دليل تناوله كما يتناول الإنسان طعاماً فيذوَّق حلاوته ، فهل يستطيع الإنسان أن يذوَّق بدون تناول للطعام ؟ وبعد التناول والإقبال عليه للشعور بحلاوته ألا يتحوَّل هذا الطعام إلى طاقة وحركة ودم ونطفة وذرِّيَّة وعمران ؟! هكذا تناول القرآن بجهاز قلبيّ وعقليّ وروحيّ سليم ، ينشأ عنه إشاعة الأنوار والأسرار والأخلاق والحبّ والسلام ، بل ينشأ عنه معنى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ آل عمران ، وبذلك ينشأ مجتمع ذرِّيَّة القرآن ، وهذا المجتمع لبناته قويَّة بمعناها ومبناها ؛ لأنَّ الإنسان المؤمن له جانبان : جانب مبناه الناشيء من نطفة حلال ناشئة من رزق حلال طيِّب ، كما أمر الله في كتابه وعلى لسان نبيِّه ﷺ . وجانب معناه المتعلِّق بقلبه وخُلقه الناشيء أيضاً من خُلق القرآن ومن الأُسوة الحسنة ﷺ ، الذي كان خُلقه القرآن . وبذلك يكون المؤمن من ذرِّيَّة القرآن بمعناه ومبناه وجدُّه خاتم النبيِّين ﷺ ، فعن سهل بن سعد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [أنا جدُّ كلُّ تقيّ] رواه أحمد والبخاريّ والترمذيّ .

السؤال التاسع والثلاثون:

ما هي الغيبيّات ؟

الإجابة :

معلومة {1}:

يا ولدي الغيبيّات ثلاثة : الغيب الأعلى ، والغيب الأوسط ، والغيب الأدنى ، أمّا الغيب الأعلى : فلا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له ، ولم يطلع عليه نبي ولا ولي ولا مَلَك ولا جنٌ ولا سوى ذلك من مخلوقات الله وعباده ، فذات الله وصفاته وأفعاله ، أو تعلُّقه بالفعل من الغيب الأعلى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنعام ، والأبصار ما يمكن استخدامه للإدراك باطناً أو ظاهراً ، فالحواس الظاهرة كالعين وغيرها ، والحواس الباطنة كحواس القلب أو العقل ، جميعها وسائل إدراك وإبصار معنوي أو حسّي ، وجميع القدرات في جميع المخلوقات عاجزة تماماً عن الإحاطة بالخالق بإدراكها له ، وغاية معرفتها القصور عن معرفته ، وأقصد بأفعال الله (سرُّ قضائه وقدره) . أمّا الغيب الأوسط : فهو كلُّ ما يتعلّق بالعقول والقلوب من وحي أو إلهام ، ومن فطنة وكياسة ، والوحي خاصٌ بالأنبياء ، والإلهام خاصٌ بالأولياء ، والغيب الأوسط كلُّ مُدرَك لا يُدرَك إلا بنور يقذفه الله في الذات الباطنة من العبد الصالح ، أو بفتح له في عقله ، وقد أشار إلى ذلك قول النبي ﷺ : [اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله] في رواية أبي سعيد الخدريّ عن رسول الله ﷺ بسنن الترمذيّ ،

وبقوله : [من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم] من حديث أنس بن مالك في حلية الأولياء ، ومن حديث أبي هريرة ﷺ في البخاريّ : { مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه ، فإذا أحببته كُنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه ... } وها هو سيدنا عثمان ذو النورين ﷺ يدخل عليه رجل قد اختلس نظرة حراماً وهو في طريقه إليه مع بعض أصحابه فإذا بالصحابيّ الجليل يكشف عن ذلك فقد أخرج الملاء في سيرته : (أنَّ رجلاً دخل على سيدنا عثمان ﷺ وقد نظر إلى امرأة أجنبيَّة ، فلمَّا نظر إليه قال : هاء !! أيدخل عليَّ أحدكم وفي عينيه أثر الزنا ؟ فقال له الرجل : أوحي بعد رسول الله ﷺ ؟ قال لا !! ولكن قول حقٌّ وفراسة صدق) الرياض النضرة الجزء الثالث صفحة (٥٠) فبأي حاسَّة أدرك سيِّدنا عثمان ﷺ هذا الشيء من عالم الغيب الأوسط ؟ لأنَّ النظرة الحرام ليست مجرَّد نظرة عين ، وإنَّما هي تحرُّك قلب بشهوة ، وهذا غيب أوسط؛ لأنَّه مُتعلِّق بالقلب وبالعين مبنى ، فكيف أدرك الصحابيّ الجليل المعنى ، وكيف أدرك المبنى ولم يكن معه حتَّى دخل عليه ؟ بحاسَّة الإلهام وبنور الله ، فكلُّ المعنويَّات المغيَّبة في عوالم القلوب والعقول والأرواح لا تُدرك إلا بنور يقذفه الله في قلب المؤمن . أمَّا الغيب الأدنى: فهو كلُّ ما هو غائب في عالم الشهادة

في عالم الحِسّ الظاهر ، فجهازك الهضميّ مثلاً من الغيب الأدنى ؛ لأنَّه مادَّة غائبة في مادَّة البطن ، فكلّ شيء ماديّ يفصله عنك حجاب الزمان أو المكان ، فلا تدركه حواس الجسد مباشرة ، أو يتعلَّق به الفكر بالدليل المادِّيِّ ، فهو من الغيب الأدنى وهذا يُدرك بالحيلة والعلم والإخبار ، وقد تكون وسيلة معرفته بالسبب العرفيّ والبحث الدقيق ، أو التوفيق ، وقد تكون أيضاً بالإلهام ، فمثلاً الحصوة المغيَّبة في الكُلى من الغيب الأدنى ولكن الطبيب يُدركها بآثار ما تُحدثه من ألم نتيجة تجاربه وملاحظاته ، وقد يؤكِّد وجودها بالوسيلة العلميَّة ، وهي كشف الأشعَّة ، أمَّا حكاية الله عن سيِّدنا عيسى ـ عليه وعلى خاتم النبيِّين أفضل الصلاة والسلام ـ في قوله تعالى : ﴿ ... وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران ، والمأكل والمُدَّخر أشياء ماديَّة محسوسة من الغيب الأدنى ، مُغيَّبة في البيوت خلف الجدران ، ولكن بالوحي يُلهِم الله سيِّدنا عيسى ـ عليه وعلى خاتم النبيِّين أفضل الصلاة والسلام ـ معرفتها ويكشفها له ، وكما كشف الله لخاتم النبيِّين بيت المقدس وأخذ يصفه للمعترضين وهو في مكَّة صباح مُعجزة الإسراء والمعراج ، وقد يطرأ سؤال في الذهن وهو : كيف يعرف العرَّاف أو الكاهن أو الساحر شيئاً من الغيب رغم فقدانه لنور الله الذي يمكن أن يُدرك به شيئاً من الغيب ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٣} :

يا ولدي هذه الأصناف من الناس الزائغة تعجز أن تدرِك ما في

العقول أو ما في القلوب ؛ لأنَّها من عالم الملكوت ومن عالم الجبروت إلا إذا ظهر بوضوح في عالم الشهادة ـ أي في الجسد ـ من آثارها شيء ، وبذلك تفقد كونها غيباً بنسبة كبيرة ، كما أنَّك لو رأيت إنساناً ظهر على وجهه الاكتئاب ، فهذه علامة أنَّ في قلبه حزناً أو خوفاً أو أي شيء غير طبيعيّ ، فلو قلت له : " أنت حزين " فهل هذا يُعتبر علماً بغيب ؟ يا ولدي كلُّ ما تستطيع أن تُخبر به هذه الأصناف من الناس الزائغة هو شيء يصل إليهم عن طريق الجنِّ ، وهذا الشيء إذا كان من عالم الشهادة ـ أي عالم المُلك ـ العالم الماديِّ الذي نعيش فيه فهو غيب أدنى كما ذكرت ، وللجنِّ قدرات تفوق قدرات البشر في مجالات معيَّنة ، فقد ينقل للبشر أخباراً مجالها الدنيا ، وصل إليها بقدرات خاصَّة به فنظنُّ أنَّ ما أخبرنا به هذا العرَّاف أو الكاهن أو الساحر غيباً محضاً ، مع أنَّه مجرَّد خبر منقول إليه من جنٍّ أكبر منه قدرة ، فهو ناقل فقط وليس مُخبراً بغيب ، حتَّى الجنّ نفسه لا يكون مُخبراً بغيب بل نقل ما رآه ، وإن كان الخبر المنقول من مجال الغيب الأوسط فإنَّ الجنَّ بتجسُّسهم على عالم الملائكة قد يسترقون بعض المعلومات وينقلونها إلى مَن يعوذون بهم من البشر وينقلونها هم بالتالي إلى الناس فنظنُّهم يعلمون الغيب . وهناك ملاحظة هامَّة هي أنَّ كلَّ ما يحجبك عنه المكان ولم يسبق لك معرفة به يُعتبر من الغيب الأدنى ، أمَّا ما يحجبك عنه الزمان الماضي أو المستقبل فيمكن إضافته إلى الغيب الأوسط ، فما سيحدث مثلاً بعد زمن أو ما حدث في الماضي هذا

غيب أوسط ، أمَّا ما هو حادث فعلاً في عصرك في مكان ما فهذا غيب أدنى وهكذا . ملخَّص القول أنَّ الشخص الذي يُخبر بغيب رغم أنَّه ليس على نور فهو ليس غيباً ، باعتباره ناقلاً عن جنٍّ له قدرات معيَّنة والشيء بالنسبة للجنّ ليس غيباً ، بل أدركه الجنُّ من عالم الشهادة أو أدركه من عالم الملائكة خِلسَة ، وقد أصبح الجنُّ عاجزاً عن الاختلاس بعد بعثة النبي ﷺ ، ولمَّا كان الجنُّ بالنسبة لنا يُعتبر غيباً ظننَّا أنَّ العرَّاف أو غيره يُخبر بالغيب وهذا غير صحيح ، ومن هنا ندرك أنَّ الغيوب ثلاثة : الأعلى والأوسط والأدنى ، كلّها عند الله عالِم الغيب والشهادة : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ... ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام ، وإن كانت مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، فما بالك بالغيب نفسه ؟ إذا كان مفتاح الخزنة لا يعلمه إلا صاحبها ، فما بالك بالخزانة نفسها وما في جوفها ؟! وإذا أذِن اللطيف الخبير الذي هو بكلِّ شيء عليم ببروز شيء من عالم الغيب ، أصبح هذا الشيء من عالم الشهادة بقدر ما أدرك منه الإنسان وقدَّر له خالقه ، وقد يكون شيءٌ واحد — من عالم الشهادة — شهادةً بالنسبة لشخص وغيباً بالنسبة لشخص آخر ، كالجوهرة المسروقة فهي بالنسبة لسارقها معروف مكانها الذي خبَّأها فيه فهي بالنسبة له شهادة ، أمَّا بالنسبة لصاحبها هي غيب ؛ لأنَّه لا يعرف مكانها ولا الذي سرقها ، لذلك يلجأ صاحبها للوسائل المشروعة وغير المشروعة ، وقد يكون من هذه الوسائل اللجوء للسحرة والعرَّافين والكهنة ، والله أعلم .

السؤال الأربعون :

ما هو التفسير الكافي أو الجامع للقرآن الكريم ؟

الإجابة :

معلومة {1} :

يا ولدي بدايةً كلام الله أوضح وأعلى من أن يحتاج تفسير ولكن للعجز الذي يستغرق العبد مهما أُوتي من قدرات فهو محتاج إلى تفسير نفهم ذلك من قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ... ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى ، فنلاحظ أنَّ الله يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ... ﴾ ولم يقل : وما كان الله أن يُكلم بشراً ، ففي قوله إشارة واضحة أنَّ العبد لعجزه عن استقبال كلام الله مباشرة فهو يُكلِّمه من خلال وسائط ، وعلة ذلك ضعف العبد وعجزه ، فالقرآن قول ثقيل لعلوِّ مكانته ولعظمة قدره ، والله يقول : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر ، فالقرآن من حيث نصّه قول ثقيل يعجز الخلق كلهم جميعاً أن يأتوا بشيء من مثله أو يستقبلوه بدون وسائط ، كذلك بيانه من الله ، ولا يتحقَّق إلا إذا تطهَّر العبد من أغياره وأكداره وأوزاره ، وصار بنفسه المَرضيَّة كنافذة زجاجيَّة ، نقاؤها بقدر شفافيَّتها ومعدنها ، تصدُّ برْد الشتاء ، وتنفذ من خلالها أشعَّة الشمس الدافئة المضيئة ، كيف ذلك بالنسبة للنفس ؟ هذا ما ستعرفه في المعلومة الثانية .

معلومة {٣} :

يا ولدي لكلِّ إنسان غطاؤه الذي يُكشف عنه عند الموت ، فإذا طهر العبد ، فنهى النفس عن الهوى بعزيمته التي هي من فضل الله وتوفيقه ، وصلابة الزجاج إشارة إليها ــ أي إلى عزيمة المؤمن ــ وأصبحت ذاته شفَّافة ، وشفافية الزجاج النقيّ إشارة إليها ــ أي إلى الشفافية في النفس ــ إذا تحقَّق العبد عزيمة وشفافية ، استوعب شيئاً من النصِّ والبيان ، والنصُّ والبيان من الله لقوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة ، وهذه إشارة إلى النصِّ ، وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة ، وهذه إشارة إلى البيان والتفسير ، وإذا كان الله قد سخَّر بعض عباده المخلِّصين كسيِّدنا أبي بكر الصديق ، وسيِّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وكتبة الوحي ﷺ لحفظ النصِّ ، أي وفَّقهم لتقيِّيد وجمع النصِّ القرآني ، وتكفَّل هو وحده بحفظه ، فقد عجز جميع الأعداء أن يُنقصوه حرفاً أو يزيدوه حرفاً أو يُبدِّلوا حرفاً : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحِجر ، كذلك بالنسبة للبيان فإنَّه في صدور أولي العلم ، وأولوا العلم هم عباد الرحمان الذين يخشون الله والذين علَّمهم العليم الخبير ، واعتقادي أنَّ التفاسير الكافية أو الجامعة أربعة تفاسير :

١- التفسير الحَقِّيُّ ، وهو تفسير القرآن بالقرآن ، والمتشابه بالمُحكم ، والآية المُحكمة تعضد أختها .

٢- التفسير الخُلقيُّ ، وهو تفسير القرآن بحياة النبي ﷺ ، وهو ما يُعبَّر عنه بالسنَّة ؛ لأنَّ السنَّة هي خيال القرآن في مرآة النبي محمَّد ﷺ .

٣- التفسير اللغويُّ المعتمد على اللغة العربيَّة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف .

٤- التفسير العلميُّ أو الكونيُّ . فالحقائق العلميَّة ، لا مجرَّد النظريَّات في الكون ، التي تظهر بالتدريج جيلاً بعد جيل ، والتي لا شك فيها ، هي تفسير للقرآن ، وتدبَّر يا ولدي هذا القول الواضح الكريم والوعد المُبين : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ فصِّلت ، وتفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بحياة النبي ﷺ ، وتفسير القرآن باللغة العربيَّة ، وتفسير القرآن بآيات الكون والنفس ، هي تفاسير ترتكز على حقائق لا شكَّ فيها ، فهل في ذات القرآن شكٌّ ؟ وهل في ذات النبي ﷺ شكٌّ ؟ وهل في اللغة العربيَّة شكٌّ؟ وهل في حقائق الكون والنفس التي تمَّ إثباتها شكٌّ ؟ إذاً كما أشار الله إلى نصِّ القرآن فقال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة ، فإنَّ بيانه لهذا الكتاب بما أنزل فيه من آيات مُحكمات ، وإنَّ بيانه لهذا الكتاب بمن أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعصمه ووصفه بقوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ النجم ، وإنَّ بيانه لهذا الكتاب بلغة القرآن وبلغة أفصح خلق الله ﷺ وبلُغة خير أمَّة أُخرجت للناس ، وإنَّ بيانه لهذا الكتاب بما أوجد في الكون وفي النفس من آيات للموقنين ، أقول : إنَّ بيانه والقرآن كلامه ذلك البيان هو البيان الذي لا ريب فيه ، وأستطيع أن أقول أنَّها صور أربع لجوهر واحد ، هو حظٌّ قليل للعباد من معرفة القرآن : ﴿ ... وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء .

الخاتمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وخاتم النبيين ، أما بعد ,,,,

فهذه خاتمة طارئة على كتاب الشجرة الطيبة الأول الطبعة الثالثة ، وهذه الخاتمة الحديث فيها عن أحوال الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ ، والنبي محمد ﷺ هو النبي في كل نبي ، والرسول في كل رسول، والولي في كل ولي ؛ لأن اسم " محمد " ﷺ مشتق من الحمد : أي الثناء والمدح ، ثم إن كلمة " محمد " : اسم مفعول ، وهي صيغة مبالغة من محمود ، فيا تُرى من الذي حمده ومدحه وأثنى عليه وسماه " محمداً " ؟ إن هذه الكلمة " محمد " : اسم وصفة لذات النبيﷺ ، فقد جعله الله كنز المحامد كلها ، وقال له إشارة إلى ذلك : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم ، فهو عظيم في كل شيء محمود ، وما من نبي وما من رسول وما من ولي إلا وفيه من المحامد على قدره ، إذاً هو محمد من حيث صفاته ، وله اسمه الذي سماه به والداه ، فمن الأنبياء مَنْ اسمه " إبراهيم " ، ومنهم من اسمه " موسى " ، ومنهم من اسمه " عيسى " ... وهكذا الأولياء ، أما " محمد " ﷺ فهو محمدٌ : أي محمود اسماً وصفةً ، إذاً هو النبي في كل نبي ، والرسول في كل رسول ، والولي في كل ولي ، وإن شئت فقل : هو كالماء في كل مشروب ، أو المذاق الحلو في كل مأكول أو مشروب حلو ، فكل نبي أو رسول أو ولي فيه من المحامد

على قدره ، ولكن الله خصَّه بصفة طيبة برز فيها ، وفضَّله الله بهـا على غيره : فسيدنا إبراهيم ﷺ فيه من المحامد ما فيه وبرز في صفة الإيمان ، وسيدنا موسى ﷺ فيه من المحامد ما فيه وخصَّه الله بصفة العدل ، وسيدنا عيسى ﷺ فيه من المحامد مـا فيـه وتميَّـز بصـفة الرحمة ... وهكذا برز سيدنا أيوب ﷺ بصفة الصبر ، وبـرز سـيدنا سليمان ﷺ بصفة الشكر ، أما النبي الجامع سـيدنا محمـد ﷺ فهـو متخصص ومُفضَّل بجميع المحامد ؛ لأنه كنزهـا ، أخـذ الله ميثـاق النبيين بشأنه ، وبشَّر به ـ باسمهم جميعاً ـ السـيد المسـيح ﷺ ، بدليل قول الله تعالى حاكياً عن السيد المسيح : ﴿ ... وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ... ﴿٦﴾ ﴾ الصف ، وتأمَّل يا ولدي اسم " أحمد " : إنـه اسم تفضيل ، يعني أنه ﷺ : أحمد الخلق لله ، أي أكثـرهم لله حمـداً وشكراً ، ولذلك قال ﷺ : [... أفلا أكـون عبـداً شـكوراً] حـديث صحيح، رواه الإمام البخاري والإمام مسلم ﷺ ، ولقد كـان موجـوداً بالمعنى في بواطن الأنبياء من قبله ، وظـل موجـوداً فـي بـواطن الأولياء من بعده ، أليـس هو المُتقلِّب نوراً في السـاجدين ؟! ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ الشعراء ، أليس هو القائل ﷺ : [... لـو لحقني موسى ما وسعه إلا إتباعي] حـديث حسـن ، رواه الإمـام أحمد، والإمام البيهقي ﷺ ، وقـد عصـمه الله العصـمة الأصـلية الشاملة، فاستحال على أي عدو له أن يُمكِّنه الله منه فيقضي عليـه أو على دعوته ، بل أظهره الله وأظهر دينه على الدين كله ، وأهـم من ذلك عصمة الله بمعنى : أن جعل الله من المستحيل على مـؤمن

به أو مُحب له أن يضل فيه ـ كما ضلَّت بعض الأمم السابقة في بعض أنبيائهم ـ فينسب له ما يجب في حق الله ، أو ينفي عنه صفة من صفات عبوديته لله ـ كما حدث في الأمم السابقة لبعض الأنبياء من قبله ـ وتوفى النبي ﷺ بعد أن كَمُل الدين وتمَّت النعمة ، ورضي الله لعباده الإسلام ديناً ، واعلم يا ولدي أن وفاة النبي ﷺ ليست عدماً وليست قطعاً لصلته بأمته بل بالعكس ، فقد كانت وفاته ﷺ حياة أعظم وخيراً له ولأمته بل لنبوته ورسالته من بعده ؛ لأن الله يشير إلى ذلك بقوله : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى ، وكل خير يزيد في حياة النبي ﷺ هو زيادة في خير أمته التي اتبعته وتتبعه في كل عصر؛ لأن آثار رسالة النبوة ووظيفة الرسالة ممتدة من بعد وفاته ؛ لأن حياته خيرٌ لنا ، ومماته خيرٌ لنا ، وما جاء به من رحمة، وهو نفسه رحمة للعالمين ، آثارها ممتدة إلى يوم القيامة من خلال الإمامة من بعده ، وموضوع *الإمامة* قضية خطيرة ، ومجال اختلاف خطير بين الشيعة والسنة ، فالشيعة يرون الإمامة السياسية ـ أي تولي الحكم ـ وكذلك الإمامة الروحية خصَّ النبي ﷺ بها سيدنا علياً بن أبي طالب ﷺ وعقيدة الشيعة أن الخلفاء الراشدين مغتصبون للخلافة من صاحبها سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ إذاً هم مُدانون ووصفوهم ظُلماً بما وصفوهم به ، وبالنسبة للإمامة الروحية حصروها في اثني عشر إماماً ، ووصفوهم بالعصمة ، وإحاطتهم بعلم الغيب ، وقدرتهم على خرق العادات ، وكادوا أن يرفعوهم إلى درجات الأنبياء ، وقد يكون بعضهم قد فعل ذلك والله أعلم ، بينما السُنة

يعترفون بالإمامة الروحية للإمام علي ﷺ ولكنهم لا يحصرونها في الإثنى عشر إماماً ، بل يجعلونها مطلقة ، أما الإمامة السياسية فهي متروكة لاختيار الناس لحاكمهم ، هذا ملخص ما ورد من آراء حول الإمامة من الطرفين ، والحقيقة أن الشيعة ابتعدوا بذلك عن الحقيقة ، وإن كان بعضهم يخالف رأي الذين بعُدوا ، أما السُنة فكثير منهم لم ينتفعوا بالإمامة ، وببركة تزكية النفس وظنوا أن التعامل مع الدين تعامل مع النَص فقط ، ورفضوا حقيقة الشيخ والمُريد ، فكانوا كمن يحاول أن يتعامل مع التيار الكهربي دون المصباح ، وحدث ما حدث من تفرُّق الأمة واختلافها ، وكانت مصيبة الجدال بالتي هي أسوأ ، والصراع النفسي لا التكامل العقلي ، وأشار القرآن إلى حرمان الكثيرين من بركة النبي ﷺ ، الممدود بها أهل التزكية والتعليم من الأولياء في كل عصر بقوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام ، وحاول الكثيرون أن يظهر بعضهم على بعض بقدر حفظه من نص بدون وعاء أو بقدر تلميعه لمصباحه بدون تيار إلا مَن رحم ربك : ﴿ ... وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ... ﴿١١٩﴾ ﴾ هود ، ولكن ماذا حدث بعد وفاة النبي محمد ﷺ ؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف ما هي الإمامة التي حملت آثار ــ وأقول آثار ــ رسالة النبوة ووظيفة الرسالة بعد وفاة النبي ﷺ التي هي الحقيقة التي ابتعد عنها كثير من الشيعة ، ولم ينتفع بها كثير من أهل السنة ، واخترع كل فريق ما اخترع من عناوين وأسماء لا داعي لذكرها وبقدر معرفتنا لمعنى الإمامة ودور

الإمامة ، بقدر ما نُحيط علماً بالحكمة من وراء ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ ، فالإمامة وعاء طاهر باقٍ إلى يوم القيامة لآثار رسالة النبوة ووظيفة الرسالة؛ فما كان الله ليرسل خاتم النبيين ويُنزّل عليه القرآن الحق المبين ثم يذهب كل شيء بوفاة النبي ﷺ ، ولذلك قال الله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر ، وقال بشأن نبيه ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ... ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة ، وقال بشأن دينه ﴿ ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ... ﴿٩﴾ ﴾ الصف ، إذاً آثار هذه البركات ستبقى ولا بد لها من أوعية ، فهي أنوار مصابيحها تتعاقب إلى يوم القيامة، وقد خصَّ النبي ﷺ الإمام علياً ﷺ زوج أطهر بنات النبي ﷺ نوراً ، وهي السيدة فاطمة الزهراء ــ رضي الله عنها ــ التي كان النبي ﷺ يخاطبها ــ كما ورد في الأثر ــ بقوله : [يا أم أبيك] أو [يا أم أبيها] أي أنها أم أول المسلمين ، وأم أول العابدين ﷺ ، وهذه إشارة إلى أنها ستكون أم أئمة هذه الأمة من المتقين ، إذاً التقوى في الأئمة هي الأصل ، والقُربى من النبي ﷺ هي الفرع ؛ لأن الله يقول : ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات ، فلو تساوى إمامان في التقوى ، فأفضلهما من كان له شرف القُربى من النبي ﷺ أما إذا زاد من ليس له شرف القربى من حيث المبنى في تقواه فهو الأفضل ؛ لأن التقوى هي الأصل في التفاضل : [لا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى] حديث صحيح رواه الإمام أحمد ﷺ وصدق رسول الله ﷺ ، فمن تساوى في معناه مع غيره وزاد بمبناه لقرابته من النبي ﷺ فهو الأفضل ، أما من زاد في معناه ــ أي في

تقواه ــ فهو الأفضل ؛ لأن الله يقول : ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات ، إذاً الإمامة شرطها الأصلي التقوى ، ولا تثبت لصاحبها إلا بقدر تقواه ، فإذا شَرُفَ بقرابته للنبــي ﷺ فقــد كملــت إمامته ، ولقد خص النبي ﷺ سيدنا علياً ﷺ بهذا السر في أولياء هذه الأمة بالتقوى حالاً وبالقربى كمالاً ، وهذا السر باقٍ رسالته ووظيفته هي عملية التزكية والتعليم ، من خلال صحبة المُريــد لإمامــه " أو لشيخه " وهذه رسالة النبوة ووظيفة الرســالة ، بمعنــى أن رســالة النبوة هي تزكية النفس ، ووظيفة الرسالة هي تعليم العقل كيف يعبد الله بذاته وقلبه وقالبه ؟ مع ملاحظة أن قرابة العبــد للنبــي ﷺ مــع عمار قلبه بالتقوى يجعل له الإمامة أصلاً ؛ لأن إمامته ثبتت بالفطرة، فإذا ازدادت التقوى فالقربى هي الأصل ، وإذا زادت القربى فــالتقوى هي الأصل : [اعملي يا فاطمة فإني لا أُغني عنك مــن الله شــيئا] حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم تحقيق الألبــاني ﷺ ، ويبقــى السؤال ماذا حدث بعد وفاة النبي ﷺ ؟ الــذي حــدث هــو أن تــولي الصديق أبو بكر ﷺ الخلافة بعد ما حدث مــن اجتماعــات ولقــاءات ومشاورات ، وما كان سيدنا أبو بكر ﷺ ليتولى أمــر المســلمين إلا بإشارات كثيرة ، فقد أنابه النبي ﷺ فصلى بالناس نيابة عنه حين كان مريضاً ، وقد صحب النبي ﷺ ليلة الهجرة ، وذكره الله بالإشارة فــي القرآن الكريم ، وذكره النبي ﷺ في أحاديثه من بينها قولــه : [لــو وُزِنَ إيمان أبي بكر وإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي بكــر] قــول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : رواه الإمام أحمد والإمام البيهقــي

ﷺ ، وما عُرف عنه ﷺ من حُسن السيرة وصلاح العمل والصلابة في الحق ، وتقديره لآل البيت ، وقوة الإيمان ، فكان لا بد أن يتولى أمر المسلمين ليقهر الله به الرِدَّة ، وقبلها ليجمع الله به القرآن الكريم والمهاجرين والأنصار " وهم خيار هذه الأمة " حول رجل واحد ليواجه بهذه الوَحدة خطر المرتدين وغيرهم ، ولما استقرت الأمور وساد الأمن كان لا بد أن يتولى أمر هذه الأمة رجل كان إذا ذُكِرَ ، ذُكِرَ العدل وإذا ذُكِرَ العدل ، ذُكِرَ الله ، والعدل قوة وما يحرس الاستقرار إلا العدل بقوته ، ولا يكون العدل إلا على يد رجل يخافه الشيطان ، وما يسلك طريقاً إلا سلك الشيطان طريقاً آخر وهكذا وصف الله " بلسان من لا ينطق عن الهوى " سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ولما اتسعت الدولة وتنوعت شعوبها ، وتولى الأمر بعد الفاروق سيدنا عثمان " ذو النورين " ﷺ وكان يمثل بحُسن أخلاقه وحيائه وأدبه ما تحتاجه الأمة بعد أن كثر عددها ؛ لأنه إذا كثر العدد لا يحكم الناس إلا حُسن الخُلُق ، وكما أن إيمان الصديق واجه المرتدين ، وعدل الفاروق ثبَّت الاستقرار في الدولة ، فإن أدب وحياء ذي النورين كان حُجة على الناس في عصره ، وحدث ما حدث من سفهاء القوم ، وانتهى الأمر بمقتل سيدنا عثمان ﷺ ؛ لأن الناس لم يكونوا على المستوى الأسْمَى حتى يبقى على رأسهم مثل ذي النورين ، ثم إن الله يُمهِّد بدخول الدنيا في قلوب الكثير من الناس ، أن يتولى أمرهم ولكن بعد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ مَنْ يستطيع أن يتعامل معهم ، ولقد توجه الناس بعد مقتل سيدنا عثمان ﷺ وعلى

رأسهم كبار المهاجرين والأنصار إلى سيدنا علـــي ﷺ كـــي يتـــولى أمرهم، وكان لا بد من قبوله نزولاً على رغبتهم ، وحتـــى لا تبقـــى الدولة فارغة من رأسها فيفقد الدين وعاءه العام ، ثم إنه تذكَّر جيـــداً ما قاله له رسول الله ﷺ بشأن توليه الإمامة السياسية " إمامة الحُكم" ماذا قال له رسول الله ﷺ ؟ قال له ما معنـــاه : [إذا عـــرض عليـــك الناس أن تُدبِّر أمورهم وتدير شئونهم ، أي إذا عرضوا عليك الخلافة فاقبلها ، وإن لم يعرضوها عليك فـــلا تســـع إليهـــا] نعـــم الإمامـــة السياسية لا تقوم إلا باختيار الناس والمشاورة ، كما حدث في اختيار الخلفاء الراشدين الثلاثة ، الصِّـــديق والفـــاروق وذي النـــورين ﷺ والجميع بايعهم الناس بعد أن اختـــارهم الصـــفوة مـــن المهـــاجرين والأنصار بما فيهم الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، لذلك قَبِـــلَ ســـيدنا علي ﷺ الخلافة " وهي الإمامة السياسية " ــ سمعت هذا بوضـــوح خلال مشاهدتي لبرنامج مناقشة بـــين السُـــنَّة والشـــيعة فـــي قنـــاة المستقلة، بإشراف صاحبها الدكتور / محمد الهاشمي ــ والأصل فيه هو أن خصَّه النبي ﷺ " الموحَى إليه " بالإمامـــة الروحيَّـــة ، إمامـــة التزكية للنفس والتعليم للعقل ، كيف يعبد الله بذاته وقلبـــه وقالَبـــه ؟ وهذه الإمامة هي آثار رسالة النبوة ووظيفة الرسالة ، إلا أن عناصر الفتن وعُبَّاد الهوى والمنافقين انتشروا هنا وهناك ، واُستشهِد الإمام علي ﷺ ، وانتهى الأمر لسيدنا معاوية بن أبي ســـفيان ، لقـــد كـــان جديراً أن يكون على رأس دولة أقبلت على الدنيا ، أو أقبل كثير مـــن مواطنيها على الدنيا ، وهو القائل " لو كانت بيني وبين الناس شعرة

ما قُطِعت ، لو شَدُّوا أرخيْت ، ولو أرخوا شددْت " والحقيقة أن الإمامة السياسية " إمامة الحُكم وتدبير الناس من حيث الدنيا " لم يُخْلَق لها أو من أجلها آل البيت ﷺ من صلب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، الذي فاز بزواج أم أبيها السيدة فاطمة الزهراء " رضي الله عنها " النور الأظهر من أنوار النبي ﷺ ، فكانت الحرث الأطهر الذي نبت فيه سيدا شباب أهل الجنة ، سيدنا الحسن وسيدنا الحُسين " رضي الله عنهما " اللبنتان بعد أبيهما اللبنة الأولى في بناء أئمة الروح أئمة المتقين في هذه الأمة ، ومَنْ مِنهُم بالقربى أو معهم بالتقوى إلى يوم القيامة ، والذين هم مرايا آثار رسالة النبوة ووظيفة الرسالة ، التي ببركتها التي مَنَّ الله بها عليهم ، تُزَكّى النفوس وتُطَهِّر القلوب وتُعَلِّم العقول، ابتغاء وجه الله في ذوات إنسانية هي ذوات المُتَّقين ، الذين آمنوا وكانوا يتَّقون ، وكم من الأولياء أئمة المُتَّقين ، والمُتَّقين أظهرهم الله فأظهر دينه بهم : سيماهم في وجوههم من أثر السجود فكانوا ﷺ هم الخير في النبي ﷺ وفي أمته إلى يوم القيامة ، وهذا هو المجال الطاهر الطهور ، بلا صراع وبلا تنافس مُلْك أو مُهْلِك ، وأئمة هذا المجال " مجال المُتَّقين " الذي هو روضة المُهتدين بالمِنَّة التي خَصَّ الله بها سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ومَن عَدَل مِن ذريته مِن بعده من خلال نبي الرحمة النبي الأمي سيدنا محمد ﷺ إلى يوم القيامة ، وبدون عدد معروف ، بل يصل إلى كونه منهم أو معهم ، كل تقي من هذه الأمة بصرف النظر عن نَسَبه أو لونه ؛ لأن الله يقول : ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴿١٣﴾ ﴾

الحجرات ، ورسوله ﷺ يقول : [لا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى] حديث صحيح رواه الإمام أحمد ﷺ ، وكنز التقوى جعله الله صدر النبي محمد ﷺ ، فَلَك قلبه ﷺ القائل : [أنا جد كُل تقي ولو كان عبداً حبشياً ...] كما ورد في الأثر ويتفق مع الواقع ؛ لأنه كما أن للأجساد جداً ترابياً هو سيدنا آدم ﷺ ، [كلكم لآدم وآدم من تراب] حديث حسن ، عن أبي هريرة وصححه الألباني ﷺ ، فلا بدأن يكون للقلوب التقيَّة جد نوراني ، ومَن يكون هذا الجد سوى أول المسلمين وأول العابدين ﷺ ولقد ثبت بالواقع التاريخي وبالإشارات الروحية ، أن الإمامة السياسية " لِحُسن حظ آل البيت ﷺ " مِنْ رحم السيدة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ ليست من حظهم ؛ لأن الله شرَّفهم وخصَّهم " ومَن سار على طريقهم واقتفى أثرهم " بطريق التزكية والتعليم والعبوديَّة والتقوى ، بالإمامة الروحية إلى يوم القيامة ، ولقد أدرك ذلك أهل الحق " وأقول أهل الحق " من الصوفية ، فالتزموا بما يُسمى بنظام الإجازة المفروض أن يحصل عليها المؤَهَّل لتزكية النفوس وتعليم العقول ، وِراثة لِمَن قال الله بشأنه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ الجمعة ، ولاحظ يا ولدي أن الأفعال كلها بصيغة المضارع ، والفعل المضارع يفيد استمرارية التأثير ، إذاً جميع الأئمة المُشَّرفين بتزكية النفوس وتعليم العقول مُقَلَّبُون بتقلب نور النبي ﷺ فيهم ؛

لأنهم هم الساجدون في كل عصر ، وتأمّل يا ولدي أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ... ﴾ إذاً الأئمة في كل عصر إلى يوم القيامة ، ممدودون بمدد واحد ، وبصرف النظر عما أحدثه الناس في حصولهم على الإجازة ، المهم أن هذه الإجازة تُعطينا في ذاتها الإشارة إلى العَنْعَنة " كما هو الحال بشأن الأحاديث النبوية " ، فإذا كان الكلام النبوي الذي تلفظ به النبي ﷺ يُنقل إلينا من خلال نظام العَنْعَنَة ، ويُقَيَّم الحديث حسب نَاقِله ، هذا بشأن مجرَّد الكلام فما بالك بالحال ورسالة النبوة ووظيفة الرسالة ودَورها في تزكية النفوس وتعليم العقول ، وهي مجال الشعور والإحساس والانفعال والتأثير ، لابُد أن الله جَنَّدَ لأثر النبوة ووظيفة الرسالة ذواتاً في كل عصر ، ليُمكِّنها من تزكية النفوس القابلة للتطهر ، ولتعليم العقول القابلة للعبودية لله ، وبذلك لا تتعطل رسالة النبوة ووظيفة الرسالة بوفاة النبي ﷺ بل يظل أثرها " لا ذاتها وأقول : لا ذاتها " يمتد من إمام إلى إمام ، بصرف النظر عن الذين هم من صُنع أهوائهم ، أقول : يظل أثرها إلى يوم القيامة ، ويستحيل أن تطفيء أو تُحطِّم حشرات مصابيح مُشرِقة بنور الله بطيرانها حولها أو باصطدامها بها ، مع ملاحظة أن تزكية النفوس وتعليم العقول لا تكون بحفظ الألفاظ وفهم المعاني ، أو بمجرَّد البلاغة والفصاحة والصراخ هنا وهناك ، كما هو حادث في مجال كثير ممَّن يدَّعون أنهم يُدافعون عن النص وعن السنة ، ولم ينتفعوا ببركة الإمامة التي هي من آثار رسالة النبوة ووظيفة الرسالة ، فمزقوا الأمة بعلم خلا من الأدب فكان الضلال ،

ولا تكون تزكية النفوس وتعليم العقول بمجرَّد حُب بهوى لآل البيت ، ونسج القصص وعبادة الأوهام ، والمساهمة في تمزيق هـذه الأمـة بقصد وبدون قصد ، إنما تزكية النفوس وتعليم العقول تكون بأن يأتي العبد مِنْ نكاح روحي لا سِفَاح نفسي ، وأن يكون موحّداً يجعـل الله بينه وبين كل شيء " وهذا هو العلم " وأن يُعطي لكل شـيء حقـه " وهذا هو الأدب " وعِلْم بلا أدب ضلال ، وادعاء أدب بدون عِلْم نفاق، لذلك كانت المِنَّة التي خَصَّ بها النبي ﷺ لتستمر بركة وآثار ، وأقول: آثار رسالة النبوة ووظيفة الرسالة ، أقول خَصَّ بها أئمة كل عصـر في هذه الأمة ، مبتدئاً بالإمام علي ﷺ الذي شرَّفه الله بالحرث الأطهر السيدة الزهراء " رضي الله عنها " ، هذه المِنَّة التي هـي القبضـة النورانية التي تمتد بطريقة العهد أو البيعة من إمام إلى إمام ، وهـي من آثار النبوة لتزكية النفس ، ومن علامات الرسالة لتعليم العقـل ، ولا ينتفع بها إلا المتَّقون ، ذرية بعضها من بعض ، مِنْ نِكاح روحي، لا مِنْ سِفاح نفسي ، ونظام التسلسل في الإجازة ، ونظـام العهـد أو البيعة ، ما هو إلا إشارة إلى حقيقة الإمامة ، ومـا مِـنْ إجـازة إلا مُعنعنة حتى تنتهي سلسلة رجالها إلى الإمام علي بن أبي طالـب ﷺ عن سيدنا رسول الله ﷺ عن الله من خلال مَلَك الوحي سيدنا جبريـل عليه السلام شريعة وعن الله مباشرة بالتجلي لنبيه مـرآة الحقيقـة ؛ لأن النبي محمد ﷺ هو مرآة الحقيقة فما فيه هو خيال عن حقيقة ، وعن مرآته أخذت مرايا النبيين ــ عليهم الصلاة السلام ــ ، أخذت خيـالاً عن خيال، وعنها أخذت مرايا الأولياء ، أخذت خيالاً عن خيالاً عـن

خيال وهكذا : ﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف ، ولكي تُدرِك يا ولدي شيئاً قليلاً من قدر النبي ﷺ تصوَّر أو تخيَّل " وإن كان هذا مستحيلاً " أن مرآة الحقيقة " وأنت تعرفها طبعاً " ، رُفِعَت فهل يكون هناك أنبياء أو أولياء وإذا لم تكن هناك هذه الذوات الحقَّة ، فما بالك بغيرها ، لعلَّك يا ولدي تنتفع بما أقول فتدرك أن مرآتك لا تعكس إلا عن مرآة ، ولا تكون لك مرآة إلا بتزكية نفسك وتعليم عقلك بمِنَّة من الله في حضرة خبير : ﴿ ... ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان ، وما الخبير إلا إمامك المربي المُزكي لنفسك ، المُعلِّم لعقلك في عصرك لكي تكون عبداً لله لا لهواك كما هو حادث في هذا الزمن : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران .

المؤلِّف

مراجع كتاب الشجرة الطيِّبة
(الكتاب الأوَّل . الطبعة الثالثة)

{١} القرآن الكريم .

{٢} فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المجلد الحادي عشر.

{٣} سنن النسائي بشرط السيوطي ، المجلد الرابع .

{٤} التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، للشيخ منصور علي ناصف ، الجزء الخامس .

{٥} كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول للشيباني ، الجزء الثاني .

{٦} رياض الصالحين ، للإمام النووي .

{٧} الأذكار المنتخب من كلام سيِّد الأبرار ، للإمام النووي .

{٨} حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنَّة ، للشيخ سعيد القحطاني .

{٩} كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ــ قسم العبادات ــ وزارة الأوقاف .



فهرست كتاب الشجرة الطيِّبة (الكتاب الأوَّل) الطبعة الثالثة

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	الطريقة الجامعة	٤
٢	مقدمة كتاب الشجرة الطيِّبة (الكتاب الأوَّل) الطبعة الثالثة	٦
٣	نسب الشيخ أحمد البسفي الأول العلمي والروحي	١٠
٤	وصية الشيخ أحمد البسفي الأول بن مصطفى	١٣
٥	س١ : عن كون كتب الشجرة الطيِّبة على صورة سؤال وجواب	١٦
٦	س٢ : عن مقدمة كل درس	١٨
٧	س٣ : عن هُوية المؤلِّف من حيث الدعوة	٢١
٨	س٤ : عن السموم التسعة	٢٣
٩	س٥ : عن السياسة والهدم	٢٥
١٠	س٦ : عن الطائفيَّة والتعصب	٢٨
١١	س٧ : عن الحسد والبغضاء	٣٠
١٢	س٨ : عن المقصود بالأسلوب الهجوميّ في الدعوة	٣٣
١٣	س٩ : عن الجدال المضيِّع للوقت والمَوَدَّة	٣٥
١٤	س١٠ : عن البدع والخرافات والوهم والرسم	٣٩
١٥	س١١ : عن الماديَّات المُفسدة للقلب والقَالَب	٤٤
١٦	س١٢ : عن وجود المادَّة في حياة الإنسان	٤٦
١٧	س١٣ : عن الطريقة التي يجب أن يلتزم بها الجميع	٥٢

(تابع) فهرست كتاب الشجرة الطيِّبة (الكتاب الأوَّل) الطبعة الثالثة

م	الموضوع	رقم الصفحة
١٨	س١٤ : عن منهج الطريقة الجامعة	٥٥
١٩	س١٥ : عن تعريف الصوفيّ	٥٩
٢٠	س١٦ : عن إشارة الدين إلى السلوك الصوفيّ	٦٣
٢١	س١٧ : عن هل تمجيد المؤلِّف للصوفيَّة يتفق مع ما عليه المنتسبون للصوفيَّة في عصر المؤلِّف	٦٦
٢٢	س١٨ : عن فساد الأمَّة وفساد الفرد	٧٠
٢٣	س١٩ : عن ما يُشير إليه العدد (٨) في آيات كتاب الله	٧٢
٢٤	س٢٠ : عن معنى إنَّ الخَلْق إشارة	٧٤
٢٥	س٢١ : عن معنى أنَّ الأمر إشارة	٧٦
٢٦	س٢٢ : عن أمثلة أنَّ الخَلْق إشارة وأنَّ الأمر إشارة	٧٨
٢٧	س٢٣ : عن سبب اختلاف الناس	٩١
٢٨	س٢٤ : عن العقول المعطَّلة	٩٤
٢٩	س٢٥ : عن العلم النافع	٩٦
٣٠	س٢٦ : عن صفات الشيخ المُربي	١٠٠
٣١	س٢٧ : عن الفرق بين الحقيقة والشريعة	١٠٧
٣٢	س٢٨ : عن أركان الإنسان المُسلم	١١٥
٣٣	س٢٩ : عن هل اسم الطريقة الجامعة يتنافى مع أسماء الطرق الصوفيَّة	١٢٠

(تابع) فهرست كتاب الشجرة الطيِّبة (الكتاب الأوَّل) الطبعة الثالثة

م	الموضوع	رقم الصفحة
٣٤	س٣٠ : عن المعاني المتعلقة بالهجرة	١٢٨
٣٥	س٣١ : عن حُكم تارك الصلاة	١٣٣
٣٦	س٣٢ : عن الأمانة التي حملها الإنسان	١٣٥
٣٧	س٣٣ : عن الحقيقة المحمَّديَّة	١٤٣
٣٨	س٣٤ : عن تعريف الوليّ	١٥٠
٣٩	س٣٥ عن أولي الألباب	١٥٧
٤٠	س٣٦ : عن الفرق بين التربية والتعليم	١٥٩
٤١	س٣٧ : عن الطريقة	١٦١
٤٢	س٣٨ : عن ليلة القدر	١٦٤
٤٣	س٣٩ : عن تعريف الغيبيَّات	١٦٨
٤٤	س٤٠ : عن التفسير الكافي والجامع للقرآن الكريم	١٧٣
٤٥	الخاتمة	١٧٦
٤٦	مراجع كتاب الشجرة الطيِّبة (الكتاب الأوَّل) الطبعة الثالثة	١٨٩
٤٧	فهرست كتاب الشجرة الطيِّبة (الكتاب الأوَّل) الطبعة الثالثة	١٩٠



المؤلف في سطـور

فضيلة الشيخ أحمد البسفي الأول بن مصطفى بن محمد مولود في صفر سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة وخمسون هجرية مـايو ألـف وتسعمائة وأربعـة وثلاثين ميلادية بمدينة الفشن محافظة بني سويف وهو من رجال التربية والتعليم وقد قضى حياتـه داعـياً إلى الله بالأسوة الحسنة والسماحة الصادقة والكلـمة الطيـبة معلمـاً وداعيـاً إلى الله تـعالى .

ومنهجة في الدعوة يقوم على المنهج الرباني من إخلاص النية في القصد والصـدق في القـول واليسر في العمـل وعـدم التكلف أو التطـرف .

وهـو دائما ينظر إلى ثمار هذا المنهج في التربيـة وهى(الأخلاق) ولذلك يقـول في مقـدمة كل درس لـه عـبارته التي تلخص ما يدعـو إليـه (...وإن هـذا الدين شجرة أصلها عقيدة التوحيد وذاتـها شـريعة الله وثمـارها الأخـلاق وشجـرة بلا ثـمار هى حطـب للـنار) وهـذا هـو العـلم النـافع في الدنيـا والآخـ



العنـوان
الفشن شارع بحري المحكمة
٧٦٦٣٢٤٩ -٧٦٦٢٩٧١-٧٦٦١١٦١
٠١٠٣٤٦٢٣٥٨